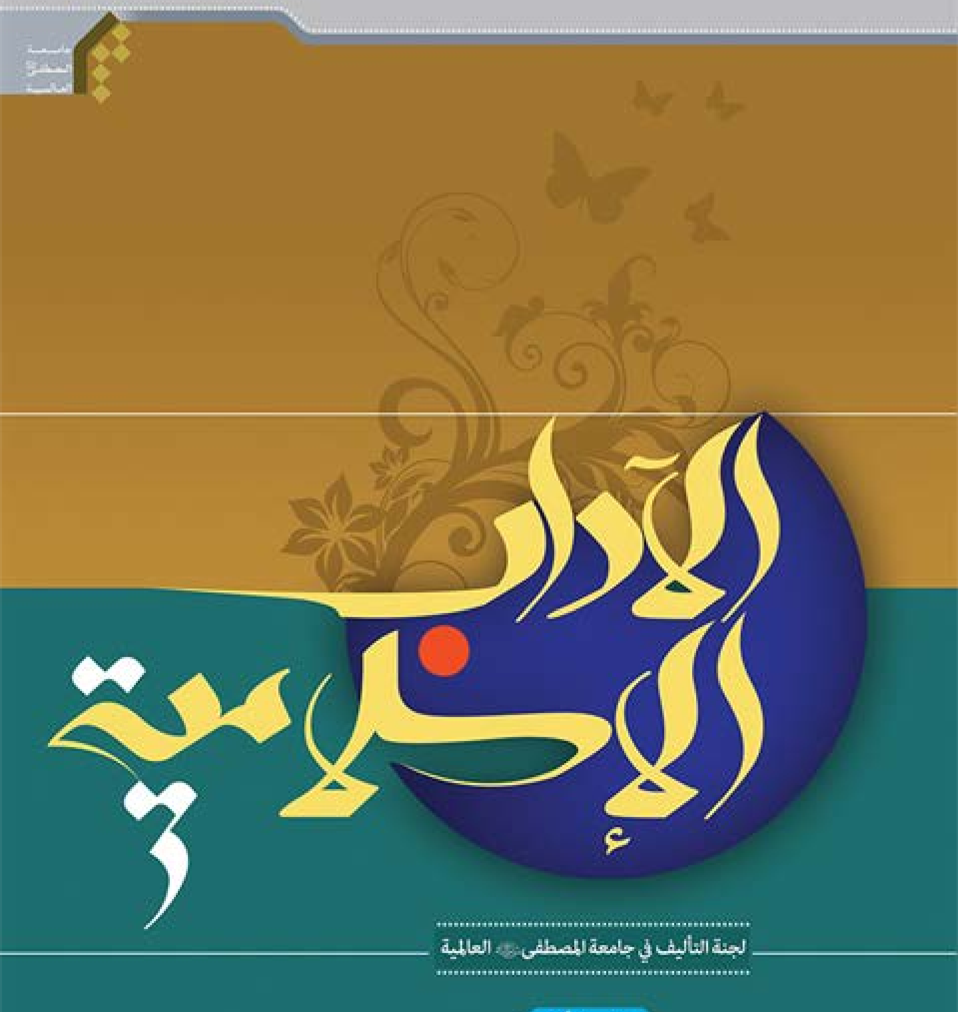


لجنة التأليف في جامعة المصطفى العالمية

الجزء الأول

الطبعة الرابعة - (طبعة جديدة و منقّحة)

مركز المصطفى العالمي للدراسات و التحقيق


بسم الله الرحمن الرحیم



مركز المصطفى ﷺ العالمي للدراسات والتحقيق

عنوان و نام پدیدآور: الآداب الاسلامیة/ تالیف گروه تالیف کتب درسی.
وضعیت ویراست: [ویراست جدید]
مشخصات نشر: قم: مرکز المصطفی ﷺ العالمی للترجمة والنشر، ۱۳۹۲ -
مشخصات ظاهری: ۲ج
شابک: (ج۱): ۶-۸۰۸-۱۹۵-۹۶٤-۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی: فیپا
یادداشت: عربی
یادداشت: این کتاب قبلا تحت عنوان «الآداب الاسلامیة» توسط انتشارات المعظمه العالمیه للحوزات والمدارس الاسلامیه در سال ۱۳۸۲ منتشر شده است.
یادداشت: ج۱ (چاپ چهارم).
عنوان دیگر: الآداب الاسلامیة
موضوع: قرآن ــ اخلاق. اخلاق اسلامی
شناسه افزوده: جامعة المصطفی ﷺ العالمیة مرکز بین‌الملل ترجمه و نشر المصطفی ﷺ
رده‌بندی کنگره: BP ۲٤۷/۸/آ٤ ۱۳۹۲
رده‌بندی دیویی: ۲۹۷/۶۱
شماره کتابشناسی ملی: ۳٤۲۲۱۹۸

الآداب الإسلامية

(الجزء الأول)

لجنة التأليف في جامعة المصطفى ﷺ العالمية





الآداب الإسلامية (الجزء الأول)

المؤلف: لجنة التأليف في جامعة المصطفى ﷺ العالمية

الطبعة الرابعة (طبعة جديدة ومنقّحة): ١٤٣٥ق / ١٣٩٢ش

الناشر: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر

المطبعة: زلال كوثر ● **السّعر:** ٩٠٠٠٠ ريال ● **عدد النّسخ:** ٥٠٠ نسخة

مراكز التوزيع:

- إيران، قم، ساحة الشهداء، شارع معلم الغربي (شارع الحجتية)، زقاق ١٨ هاتف ٢٥٣٧٨٣٩٣٠٦ ٩٨+
- إيران، قم، شارع محمد الأمين، تقاطع سالارية هاتف ٢٥٣٢١٣٣١٠٦ ٩٨+ فاكس ٢٥٣٢١٣٣١٤٦ ٩٨+
- إيران، طهران، شارع انقلاب، بين شارع الوصال وشارع الشيرازي، الرقم ١٠٠٣ هاتف ٦٦٩٧٨٩٢٠ ٢١ ٩٨+
- إيران، مشهد المقدّسة، شارع الإمام الرضا ﷺ، شارع دانش الشرقي، بين فرعي ١٥ و١٧ هاتف ٨٥٤٣٠٥٩ ٥١١ ٩٨+

pub.miu.ac.ir miup@pub.miu.ac.ir

نشكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل تنضيد الحروف والمقابلة والطباعة والنشر حتى مراحله الأخيرة.

- مدير مركز النشر: محمد سعيد پناهي
- مدير الإنتاج: تورج روحاني
- المشرف على الإنتاج: جعفر قاسمي الدرق
- المشرف الفني: محمدباقر شكري
- مصمم الغلاف: مسعود مهدوي
- المشرف على الطباعة: نعمت‌الله يزداني
- الإعداد الفني: محمدباقر شكري
- الإخراج الفني: السّيّد محمد جعفري
- تقويم النصّ: عادل الأسدي
- المقابلة الفنية: محمد خسروبيگي

مقدّمة الناشر

بسم‌الله الرحمن الرحيم الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين. وبعد

إنّ التطوّر المعرفي الذي يشهده عالمنا اليوم في مختلف المجالات، بخاصّة بعد ثورة الاتصالات الحديثة التي هيأت فرصاً فريدة للاطلاع الواسع، ودفعت بعجلة الفكر والثقافة والتعليم إلى آفاق واسعة.

وغدا الإنسان يترقّب في كلّ يوم تطوّراً جديداً في البحوث العلمية، وفي المناهج التي تنسجم مع هذا التطوّر الهائل. ومع كلّ ذلك بقيت بعض المناهج الدراسية حبيسة الماضي ومقرراته.

وبعد أن بزغ فجر الثورة الاسلامية المباركة بقيادة الإمام الخمينيقدس سره، انبثقت ثورة علمية وثقافية كبرى، مما حدا برجال العلم والفكر في الجمهورية الإسلامية أن يعملوا على صياغة مناهج دراسية جديدة لمجمل العلوم الإنسانية، الإسلامية بشكل خاص؛ فأحدث هذا الأمر تغييراً جذرياً وأساسياً في الكتب الدراسية في الحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية.

وفي ظل إرشادات قائد الجمهورية الإسلامية الإمام الخامنئي(مدّظله)؛ أخذت

المؤسسات العلمية والثقافية على عاتقها تجديد الكتب الدراسية وتحديثها على مختلف الصعد، بخاصة مناهج الحوزة العلمية، التي هي ثمرة جهود كبار الفقهاء والمفكرين عبر تاريخها المجيد.

من هنا بادرت جامعة المصطفى ﷺ العالمية إلى تبنّي المنهج العلمي الحديث في نظامها الدراسي، وفي التأليف، والتحقيق وتدوين الكتب الدراسية لمختلف المراحل الدراسية ولجميع الفروع العلمية، ولشتى الموضوعات بما ينسجم مع المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمعرفة.

فقامت بمخاطبة العلماء والأساتذة، ليساهموا في تدوين كتب دراسية على الأُسس المنهجية الحديثة للعلوم الإسلامية خاصّة، ولسائر العلوم الإنسانية: كعلوم القرآن، والحديث والفقه، والتفسير، والأُصول، وعلم الكلام والفلسفة، والسيرة والتأريخ، والأخلاق، والآداب، والاجتماع، والنفس، وغيرها، حملت هذه المناهج طابعاً أكاديمياً مع حفاظها على الجانب العلمي الأصيل المتّبع في الحوزات العلمية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام الرسالية.

ومن أجل نشر هذه المعارف والعلوم، بادرت جامعة المصطفى العالمية ﷺ إلى تأسيس «مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر» لتحقيق، وترجمة، ونشر كلّ ما يصدر عن هذه الجامعة الكبيرة، مما ألّفه أو حقّقه العلماء والأساتذة في مختلف الاختصاصات وبمختلف اللغات.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم الذي يحمل عنوان **الآداب الإسلامية (الجزء الاول)** هو ثمرة التأليف **لجنة تأليف في جامعة المصطفى ﷺ العالمية** وترجمه من اللغة الفارسية إلى العربية **الأُستاذ الفاضل كمال السيد (السيد عباس الموسوي)**.

ويحرص مركز المصطفى العالمي على تسجيل تقديره لمترجمه الجليل على

مابذله من جهد وعناية، كما يشكر كلٌ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب وتقديمه للقراء الكرام.

وفي الختام نتوجّه بالرجاء إلى العلماء والأساتذة وأصحاب الفضيلة. للمساهمة في ترشيد هذا المشروع الإسلامي بما لديهم من آراء بنّاءة وخبرات علمية ومنهجية، وأن يبعثوا إلينا بما يستدركون عليه من خطأ أو نقص يلازم الإنسان عادة، لتلافيهما في الطبعات اللاحقة، نسأله تبارك وتعالى التوفيق والسداد، والله من وراء القصد.

مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي
للترجمة والنشر

مقدّمة قسم المناهج الدراسية

وضعت الحوزات العلمية ـ عبر تاريخها المجيد ـ مهمّة التربية والتعليم على رأس مهامها و جزءاً من رسالاتها الأساسية، الأمر الذي ضمن إيصال معارف الإسلام السامية وعلوم أهل البيت عليهم السلام إلينا خلال الأجيال المتعاقبة بأمانة علمية صارمة، وفي هذا الإطار جاء اهتمام تلك الحوزة العلميّة بالمناهج الدراسية التعليمية.

وممّا لا شكّ فيه، أنّ التطوّر التكنولوجي الذي شهده عصرنا الحالي وثورة الاتصالات الكبرى أفرزتا تحوّلاً هائلاً في حقل العلم والمعرفة، حتّى أصبح بمقدور البشرية في عالم اليوم أن تحصل على المعلومات والمعارف اللازمة في جميع الفروع بسرعة قياسية وبسهولة ويسر. فقد حلّت الأساليب التعليمية الحديثة والمتطوّرة محلّ الأساليب القديمة والموروثة كمّا و نوعاً، وسارت هذه التطوّرات بسرعة نحو تحقيق الأهداف التعليمية المنشودة.

وبرزت **جامعة المصطفى صلى الله عليه وآله العالمية** في هذا الخضم كمؤسسة حوزوية وأكاديمية تأخذ على عاتقها مسؤولية إعداد الكوادر العلمية والتعليمية الأجنبية في مجال العلوم الإسلامية، حيث تعكف أعداد غفيرة من الطلبة الأجانب الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفة على مواصلة الدراسة في مختلف المستويات التعليمية وضمن العديد من فروع العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية التابعة لهذه الجامعة.

وبطبيعة الحال، إنّ العلوم والمعارف الإسلامية التي يتوافر عليها الطلبة الأجانب تتمايز بتمايز البلدان والأصقاع التي ينتمون إليها، مما يدفع **جامعة المصطفى**ﷺ **العالمية** إلى تدوين مناهج حديثة تستجيب لطبيعة التمايز الذي يفرضه تنوّع البلدان وتنوع حاجات مواطنيها.

لطالما أكّد أساتذة الحوزة ومفكّريها ولا سيّما الإمام الخمينيرحمه الله، وسماحة قائد الثورة الإسلامية (دامظله) على ضرورة أن يستند التعليم الحوزوي للأساليب الحديثة المستلهمة من مناهج الاستنباط في الفقه الجواهري، وأن يتمّ سوقه نحو مسارات التألّق والازدهار، وفي هذا السياق نشير إلى مقطع من الكلمة المهمّة التي ألقاها سماحة قائد الثورة السيّد الخامنئي (دام ظله) في عام ٢٠٠٧م، مخاطباً فيها رجال الدين الأفاضل:

بالطبع، إنّ حركة العلم في العقدين القادمين ستشهد تعجيلاً متسارعاً في حقول العلم والتكنولوجيا مقارنة بما مرّ علينا في العقدين المنصرمين ...، وفيما يتعلّق بالمناهج الدراسية يجب علينا توضيح العبارات والأفكار التي تتضمّنها تلك المناهج إلى الدرجة التي تنزاح معها كلّ العقبات التي تقف في طريق من يريد فهم تلك الأفكار، طبعاً، دون أن نُهبط بمستوى الفكرة.

في الحقيقة، لقد استطاعت الثورة الإسلامية المباركة في إيران ـ ولله الحمد ـ أن تسند المحافل العلمية والجامعات بطاقات وإمكانات هائلة لتفعيلها و تطويرها. ومن هذا المنطلق، واستلهاماً من نمير علوم أهل البيتعليهم السلام وبفضل الأجواء التي أتاحتها هذه الثورة العظيمة لإحداث طفرة في النظام التعليمي، أناطت **جامعةالمصطفى**ﷺ**العالمية** مهمّة ترجمة وطباعة ونشر المناهج الدراسية التي تنسجم مع النظام المذكور، إلى مركز المصطفىﷺ العالمي، وذلك بالاعتماد على اللّجان العلمية والتربوية الكفؤة، وتنظيم هذه المناهج بالتركيز على الأهمية الإقليمية والدولية الخاصّة بها.

وللحقيقة فإنّ **جامعة المصطفى**ﷺ **العالمية** تملك خبرة عالية في مجال تدوين المناهج الدراسية والبحوث العلمية، حيث حقّقت تحوّلاً جديداً في ميدان انتاج

المعرفة، وذلك من خلال تجربتها في تدوين مجموعة المناهج الخاصّة بالمؤسّستين السابقتين التي انبثقت عنهما، وهما: «المركز العالمي للدراسات الإسلاميّة» و«مؤسسه الحوزات والمدارس العلمية في الخارج».

وكانت حصيلة الفعاليات العلمية لهذه الجامعة في مجال تدوين المناهج؛ إصدار أكثر من مئتي منهجٍ دراسي لداخل البلاد وخارجها، وإعداد أكثر من مئتي منهجٍ وكرّاسةٍ علميّة، والتي نأمل بفضل العناية الإلهية وفي ظلّ رعاية الإمام المهدي المنتظرﷺ أن تكون قد ساهمت بقسط ولو غير قليل في نشر الثقافة والمعارف الإسلامية المحمّدية الأصيلة.

وبدوره يشدّ مركز المصطفىﷺ العالمي على أيدي الروّاد الأوائل ويثمّن جهودهم المخلصة، كما يعلن عن شكره للتعاون البنّاء للّجان العلمية التابعة لجامعة المصطفىﷺ على مواصلة هذه الانطلاقة المباركة في تلبية المتطلبات التربوية والتعليمية من خلال توفير المناهج الدراسية طبقاً للمعايير الجديدة.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم

والكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم الذي يحمل عنوان **الآداب الإسلامية (الجزء الاول)** هو ثمرة تأليف **لجنة التأليف في جامعة المصطفىﷺ العالمية** وترجمه من اللغة الفارسية إلى العربية **الأستاذ الفاضل كمال السيّد (السيد عباس الموسوي).**

ويحرص مركز المصطفى العالمي على تسجيل تقديره و شكره للمترجم المحترم على مابذله من جهد وعناية، كما يشكر كلّ من ساهم بجهوده لإعداد هذا الكتاب.

كما لا يفوتنا أن نتوجّه بالرجاء إلى العلماء و الأساتذة و أصحاب الفضيلة أن يبعثوا إلينا بإرشاداتهم، و بما يستدركونه عليه منه خطأ أو اشتباه؛ لتلافيه في الطبعات اللاحقة.

نسأله تعالى التوفيق والسداد، والله من وراء القصد.

جامعة المصطفى ﷺ العالمية

الفهرس

الدرس الأوّل

الإسلام دينٌ اجتماعي

من خصائص الدين الاسلامي التي يمتاز بها على كثير من الأديان والمذاهب الأُخرى هي أنّه دينٌ اجتماعي فهو لا يكتفي ببيان واجبات الفرد وبنائه الروحي والنفسي، وإنّما يتعدّاه إلى تنظيم البناء الاجتماعي.

وابتداءً يجب الإشارة إلى نقطة مهمّة في حياة الناس جميعاً وهي أنّ بلوغ السعادة يُعدُّ الهدف الأسمى والمنشود.

البشر في فطرتهم ينشدونَ الكمالَ ويطمحونَ إلى الرخاء والرُّقي في مدارج التكامل، وبلوغ أسمى المراتب وحياة لاعوز فيها ولا شقاء.

وهذه حقيقةٌ ساطعة أنّهُ لا يوجد على وجه البسيطة من يرفض الرّفاه والثراء ولا يُريد النجاح والتقدّمِ والتفوّق في حياته. والبشر إضافةً إلى ما فُطروا عليه من حُبّ للتكامل والنموّ والتفوّق لا يودّونَ التوقّف لحظة واحدة في سيرهم الحثيث نحواً الكمال.

من هنا فلو أنّ فرداً اضطرّتهُ الظروف إلى التوقّف في مسيرة الحياة، فإنّك ستجدهُ يتململ مكتئباً حزيناً.

وهذه هي الحقيقة التي دعاها علماء الإسلام «نشدان الكمال الفطري» ومن

المؤكَّد أنّه لا يوجد من يُشكّك في هذه الحقيقة الفطريّة، كما أنّه لا يوجد بين الأديان والمذاهب الوضعيّة اختلاف حول هذه المسألة، بل إنّه مع القناعة الكاملة بها، نجدها جميعاً تنتهج ـ كلاًّ حسب رؤيته ـ طرقاً خاصّة بغية بلوغ الكمال الإنساني المنشود.

و نجد في دراستنا للأديان والعقائد المختلفة إلهيّة كانت أو ماديّة ادّعاءً في أنّ النهج الذي ترسمه هو الذي يوصل الإنسان إلى الكمال ويحقّق له السعادة.

فالاختلاف بينها إذاً يكمن في تعريف الكمال و السعادة و معالم الطريق الذي يضمن للإنسان نيله الكمال والسعادة.

و قد ذكرنا أنّ هذا الميل الكامن في أعماق البشر للتكامل، لا يعرف الانتهاء والتوقّف والخمود. وبناءً على ذلك فإنّ الإنسان ينشد المطلق واللانهائي في حركته، وفي إذعاننا لهذه الحقيقة، فإنّ الكمال الذي ينشده الإنسان هو ما يحدّده الإسلام ويشير إليه وهو بلوغ القرب الإلهي و الوصول إلى الله، ذلك إنّ الله وحده هو الحقيقة والكمال المطلق في هذا الوجود.

و من وجهة نظر الإسلام أنّ الإنسان يبلغ كماله الحقيقي في «القُربى من الله» و هذا مرهون بطاعة الله أمراً ونهياً واكتساب رضاه سبحانه وتعالى.

و من هنا فإنّ كلّ شيء يسير نحو الفناء إلاّ الله، ولا شيء سواه سبحانه يُحقّق الرغبة الإنسانيّة في الخلود، ولذا فإنّ الذين يجعلون المال والثراء سبباً للسعادة هم خاطئون، ذلك أنّ المال والثروة مهما كانت عريضة فإنّها محدودة وزائلة، إضافةً إلى أنّ الحياة الإنسانيّة تنطوي على كثير من المشاكل و المعضلات، ما يعجز المال عن حلّها. أمّا الله سبحانه فإنّه خالقُ كلّ شيء وهو نبعُ الكمال ومصدرُ الخير والجمال والباقي بعد فناء الأشياء، فالتوكّل عليه والاستناد إليه يُمكّن الإنسان من تحقيق الغنى الحقيقي والخلود.

يقول القرآن الكريم في هذا المضمار: ﴿يا أَيهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِي الْحَمِيدُ﴾.[1]

فالإنسان يمثّل الفقر المطلق في مقابل الله الذي يمثّل الغنى المطلق.

ويقول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة وهو دعاء يزخر بالحقائق والمعارف العالية:

«ماذا وجَدَ من فَقَدَك، وما الذي فَقَدَ من وجَدَك؟!».

إنّ سيّدنا الحسين عليه السلام يكشف عن حقيقة بالغة الأهميّة وهي إنّ الله هو الوجود الكامل، وأنّ من يتّجه إلى غير الله فإنّما يتّجه إلى الفناء والزوال والتّيه، أمّا من يتّجه إلى الله، فإنّه يتّجه إلى الكمال والغنى ولن يشعر خلال مسيرته بأيّ نقص أو خَواء.

وإذا كان الإسلام يجعل القرب الإلهي هدفاً أعلى وكمالاً وسعادة فما هو الطريق الذي يحدّدُهُ من أجل ذلك؟

إنّ الآية الكريمة تجيب عن هذا السؤال في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.[2]

فالطموح الإنساني في لقاء الله يتوقّف على شرطين هما :

١. القيام بالأعمال الصالحة.

٢. الإخلاص وانتفاء الشرك في عبادة الله.

إنّ تحقّق السعادة في نظر الإسلام يكمن في الالتزام الكامل بأوامر الله ونواهيه، ففي أداء الواجبات والابتعاد عن المحرّمات يتحقّق رضا الله تبارك وتعالى، حيث العبوديّة لله عزّ وجلّ تحقّق للإنسان المعنى السّامي للحريّة.

---

١. فاطر: ١٥.

٢. الكهف: ١١٠.

وعندما ندرس مجموع الأحكام الإلهيّة سواءً في الشؤون العباديّة وغيرها نجد أكثرها يرتبط بعلاقة الإنسان مع المجتمع، فمن النّادر وجود حكم شرعي فردي لا يأخذ بنظر الاعتبار المجتمع.

بعبارة أُخرى: إنّ الإسلام الذي يرى عبوديّة الإنسان لله الطريق الوحيد لولوج الرّحمة الإلهيّة الواسعة، لا يعني انفصال الإنسان عن المجتمع الذي يحيا فيه ولا يعني انزواءه، كأن يلجأ إلى كهف في جبل أو غابة وينقطع عن العالم، بل العكس، فخدمة المجتمع والإسهام في حلّ مشكلات الناس من خلال التعاون والتضامن والأُخوة، يحقّق القرب من الله عزّ وجلّ ويجسّد معنى العبوديّة له سبحانه.

وشريعة الإسلام لا يقتصر خطابها الاجتماعي بالأحكام التي تتحدّث مباشرةً عن ذلك و هو الأغلب، بل تشمل كثيراً من العبادات التي تؤدّى جماعيّاً، فحتّى الاعتكاف الذي هو عملٌ مستحبّ يستهدف تربية الفرد وتزكيته نفسيّاً وروحيّاً، لا يتحقّق إلاّ في المساجد الكبرى أوالجوامع، ومع أنّ مغادرة المسجد خلال فترة الاعتكاف يُخلُّ بشروطه لكنّنا نجد إجازة شرعيّة في ذلك في حالة قيام المعتكف بأمر اجتماعي هامّ كعيادة مريض مثلاً. و من جهة أُخرى فإنّ تعزيز القيم الإنسانيّة التي تتوقّف عليها السعادة الحقيقيّة، لا يمكن أن تتحقّق إلاّ في ظلّ العلاقات بين أفراد المجتمع، كما أنّه يجب القول أن منظومة القيم الإنسانيّة، من حبّ و مودّة و تضحية و تضامن و إيثار، لا يمكن أن تبرز إلاّ بعد إنّ ينصهر الإنسان في بوتقة المجتمع.

وفيما يلي بعض الأحكام التي تكشف عن المضمون الاجتماعي في الشريعة الإسلاميّة:

صلاة الجماعة

بدءاً تبدو الصلاة ـ التي هي رمز العبادة والعُبوديّة لله تبارك وتعالى ـ عملاً فرديّاً

حيث يمكن لأيّ إنسان أن يقوم بها على انفراد، من أجل اكتساب رضا الله و ثوابه، غير أنّه يجب أن نعرف أن الشريعة الإسلاميّة تنطوي على تأكيد بالغ في إقامة الصلاة جماعةً، إلى الحدّ الذي يجعلها أصلاً هامّاً.

والخطاب القرآني يتضمّن الحالة الإجتماعيّة في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.[1]

في كلّ معارك الرسول صلى الله عليه وآله ومع حراجة الظروف الحربيّة، التي تتطلّب مراقبة دقيقة لتحرّكات العدوّ، كان الرسول يقيم الصلاة جماعةً.

وفي واقعة عاشوراء سنة ٦١هـ وفيما كان سيّدنا الحسين عليه السلام يواجه حصاراً عسكريّاً، في ظروف غاية في الصعوبة، أدّى الإمام صلاة الظهر جماعةً، حيث أمّ أصحابه وأهل بيته وكانت السّهام تتّجه إليه فيصدّها أحد أصحابه وهو سعيد بن عبدالله، حتّى هوى على الأرض شهيداً، كلّ ذلك من أجل الصلاة جماعة.

وقد روي عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«لا صلاة لمن لم يُصَلِّ في المسجد مع المسلمين إلاّ من علّة».[2]

ومن هنا يرى الفقهاء في رسائلهم العمليّة إشكالاً شرعيّاً، في تغيب المسلم عن صلاة الجماعة، وأنّه لايليق بالمسلم تركه الجماعة دون عذر ومبرّر.

ونشاهد في أدبيّات الصلاة وأركانها، حتّى لو أدّيت فرادى، بعداً اجتماعيّاً يتجسّد بقراءة سورة الحمد حين يقرأ المصلّي:

﴿إياكَ نعبُدُ وإيّاكَ نستعينُ﴾،

وحين يُسلّم في النهاية قائلاً: «السلامُ علينا وعلى عباد الله الصّالحين». فهنا خطاب اجتماعي يجعل الفرد يعيش الحسّ الاجتماعي، حتّى في إقامة الصّلاة فرادى.

---

١. البقرة: ٤٣.

٢. *وسائل الشيعة*: ٢٩٣/٨.

صلاة الجمعة

أوجب الإسلام صلاة الجمعة، إذ يؤدّيها المسلم بدل صلاة الظهر، ولصلاة الجمعة أهميّة بالغة، وهي عبادة لا يمكن أن تتحقّق إلاّ بشكل جماعي، يُضاف لذلك وجوب أن يؤدّي الإمام فيها خطبة، تتمحور حول قضايا المجتمع ومصالح الناس وحثّ الأفراد على أداء الواجبات الاجتماعيّة.

الأمرُ بالمعروف والنّهيُ عن المنكر

وهو الدّعوة إلى القيام بالأعمال الصّالحة والحؤول دون وقوع الأعمال الخاطئة وبسبب هاتين الفريضتين أصبحت أُمّة الإسلام خير أمّة، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.[١]

هناك حشدٌ كبير من الآيات والأحاديث، يؤكّد أهميّة هاتين الفريضتين ويشجّع عليهما، إنّ أساس التشريع فيهما هو إشراف اجتماعي عام يحمي المجتمع أخلاقيّاً ويصونه من الانحراف.

الخُمسُ والزّكاة

فريضتان اجتماعيّتان أوجبهما الإسلام على الأغنياء ووضع لهما نظاماً خاصّاً وجعلهما حقّاً للمجتمع و للفقراء من خلال الحاكم الشرعي.

والزكاة فريضة هامّة قرن ذكرها الباري عزّ وجلّ بالصلاة فلا تجد في أغلب الأحيان دعوةً لإقامة الصلاة، إلاّ و اقترنت معها دعوة لدفع ضريبة الزكاة.

قال عزّ وجلّ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.[٢]

---

١. آل عمران: ١١٠.

٢. البقرة: ٤٣.

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾.[١]

وما ذكرناه يُعَدّ غيضاً من فيض، من مجموع الأحكام الاجتماعيّة في الشريعة الإسلاميّة وقوانينها. فالجهاد، والوحدة والتضامن، والاهتمام بشؤون المسلمين والتعاون على البرّ والتقوى والإحسان إلى اليتامى والأخذ بأيدي الفقراء، نماذج أُخرى من أحكام الإسلام الاجتماعيّة.

ويمكن القول: إنّ الدين الإسلامي يرسم لأتباعه طريق السعادة والكمال، من خلال التضامن الاجتماعي والتعاون والمحبّة بين أفراد المجتمع وبشكل عام من خلال مجمل العلاقات الاجتماعيّة بين الأفراد.

وإذا آمنّا بذلك يتعيّن علينا أن نُسلّم بما يلي:

أوّلاً: إنّ لأفراد المجتمع حقوقاً وعليهم واجبات إزاء بعضهم البعض.

ثانياً: وجود منظومة من الأصول الأخلاقيّة والقواعد الاجتماعيّة هي التي تحدّد موقع المجتمع وحقوق الفرد.

و إخلال الفرد بواجباته تجاه المجتمع، سوف يترتّب عليه ضياع حقوقه الاجتماعية، و سوف نستعرض في الدروس القادمة منظومة الحقوق والواجبات التي تحدد العلاقة بين الفرد و المجتمع.

---

١. الحج: ٤١.

الخُلاصة

الكمال الإنساني من وجهة نظرالإسلام يتحقّق بالقربى إلى الله.

إذا آمنّا بزوال كلّ شيء إلاّ الله، عندها يكون التوكّل عليه سبحانه هو الضمان في بلوغ الكمال المطلق، وقد حدّد كتاب الله ذلك في شرطين:

ـ العمل الصالح.

ـ توحيد الخالق والإخلاص في عبادته.

ولا يمكن تحقيق هذين الشرطين إلاّ بالتزام وصايا الشريعة وتنظيم العلاقات الاجتماعيّة، لا بالعزلة والانزواء بعيداً عن المجتمع.

الأسئلة

١. ما معنى «نشدان الكمال الفطري»؟

٢. أُذكر شروط الإسلام في بلوغ السعادة الحقيقيّة.

٣. لماذا ينحصر بلوغ السعادة الحقيقيّة في العلاقات الاجتماعيّة؟

٤. أُذكر حديثاً نبويّاً شريفاً حول أهميّة صلاة الجماعة.

٥. أُذكر آية قرآنيّة كريمة حول فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦. لماذا حازت فريضتا الخمس والزكاة أهميّتهما في الإسلام؟

الدرس الثاني

الأُخوّةُ الإسلاميّة

إنّ أولى الخطوات التي قام بها نبيّنا محمّدﷺ بعد وصوله المدينة المنوّرة، هي إرساء دعائم المحبّة والألفة بين المسلمين أنصاراً ومهاجرين بأن يؤاخي كلّ فرد من الأنصار فرداً من المهاجرين. وقد كان لهذا الميثاق المقدّس أثره العميق في تعزيز العلاقات الاجتماعيّة، وتهاوت إثر ذلك عادات الثأر والعصبيّة الجاهليّة وحَلّ مكانها الحبّ والمودّة والأُخوّة الإسلاميّة وانصهر الجميع في بوتقة الدين الحنيف، ممّا جعلهم صفّاً واحداً وأُمّة واحدة.

و قد ألغى الإسلام كلّ اعتبارات التفوّق والتمايز على أساس العرق والقبيلة واللون والمستوى الاقتصادي، فأفراد المجتمع الإسلامي متساوون في الحقوق والواجبات وأصبح ملاك التفاضل هو تقوى الله عزّوجلّ.

والإعلان الإلهي صريح جدّاً: ﴿يا أَيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[1]

وكان هذا الملاك الجديد نعمة من الله عزّ وجلّ أنعم بها على البشريّة ليسود الوئام

---

١. الحجرات:١٣.

والسلام. قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.[١]

وقد أكّد النبيﷺ وآله الأطهارعليهم السلام على ميثاق الأخوّة بين المؤمنين، ليكون آصرة قويّة تزيد في تماسك المجتمع وتعزيز العلاقات القوية بين الأفراد، و معياراً في نيل الدرجات يوم القيامة.

قال نبيّنا محمّدﷺ:

«ومن آخى أخاً في الله رَفعَ الله له درجةً في الجنّة لا ينالها بشيء من عمله».[٢]

وعنهﷺ:

«يُنصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يومَ القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفزعُ الناس ولا يفزعون ويخافُ الناس ولا يخافون، هم أولياءُ الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون. فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: همُ المتحابّون في الله».[٣]

وعنهﷺ أيضاً:

«إنّ الله تعالى يقول: حَقَّتْ محبّتي للذين يتزاورون من أجلي، وحَقّتْ محبّتي للذين يتناصرون من أجلي، وحَقّتْ محبّتي للذين يتحابّون من أجلي، وحَقّتْ محبّتي للذين يتباذلون من أجلي».[٤]

وجاء عن الإمام الصّادقعليه السلام:

«إنّ رسول اللهﷺ سأل أصحابه يوماً: أيُّ عُرى الإيمان أوثق»؟

---

١. آل عمران:١٠٣.

٢. *الحقائق*: ٣١٨.

٣. *إحياء العلوم*: كتاب آداب الصّحبة والمعاشرة.

٤. *مسند ابن حنبل*: ٤/ ٣٨٦.

فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضٌ: الصلاة، وقال بعضٌ: الزكاة، وقال بعضٌ: الصوم، وقال بعضٌ: الحجّ والعمرة، وقال بعض: الجهاد.
فقال رسول الله ﷺ: «لكلّ ما قلتم فضل وليس به، ولكن أوثق عُرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله والتولّي لأولياء الله والتبرّي عن أعداء الله».[1]

وكما إنّ جميع الأمور في الإسلام تأخذ اتّجاهها الإلهي، كذلك الحبّ و البغض اللّذان يُعَدّان من أركان الدين، بل إنّ بعض الروايات ترتفع بها إلى أصل الدين كلّه إذا كان لله وفي الله.

فما ميثاق الأُخوّة الاسلاميّة إلاّ المحبّة في الله بين المؤمنين.

يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2] وميثاق الأخوة هذا ينهض على صرح الإيمان بالله وطاعته عزّ وجلّ وما عدا ذلك من أوامر ماديّة فباطل لا اعتبار له.

إنّ الذين يحبّون من كان ثريّاً أو وجيهاً ويتوددون له ويُظهرون له الاحترام خوفاً أو طمعاً أو لمجرّد الانبهار به، لا تثبت مودّتهم ولا تستمّر ذلك أنّهم حين يُحقّقون ما يصبون إليه من الثراء والمقام أو حين يتنكّر الدهر لذلك الإنسان تنتهي تلك العلاقة. فمحبوب الأمس يكون مبغوض اليوم. أمّا الحبّ الأخوي الإسلامي فثابت لا يعرف الزوال؛ لأنّ قاعدته صُلبة تستند إلى القيم الإلهيّة الخالدة.

ولذا فإنّ ميثاق الأُخوّة الإسلاميّة يتجاوز كلّ الاعتبارات الماديّة من لون وعرق ومقام وسائر الاعتبارات الماديّة الأخرى. ومن هنا شهد عصر صدر الإسلام هذه الآصرة الأُخويّة وكان نبيُّنا ﷺ يجلس مع الغلمان والعبيد إلى مائدة واحدة.

ويوم كانت القبائل في جزيرة العرب تتفاخر في عدد الإبل والأولاد والأموال، بل وحتّى بعدد الموتى، شواهد القبور و... و كان يقدمون العرب على العجم و الأبيض على

---

١. *بحارالأنوار*: ٢٤٢/٦٩.

٢. الحجرات: ١٠.

الأسود، إذا بنبيّنا محمّدﷺ يقضي على هذه الاعتبارات الفارغة وإذا أصحابه بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي، وإذا زيد بن حارثة يتزوّج من سيّدة قرشيّة هي زينب بنت عمّة محمّد النبيﷺ وجويبر الأفريقي الفقير يتزوّج من الزلفاء وهي ابنة أحد الأثرياء والوجهاء؛ لأنّ النبيﷺ يقول «المؤمن كفء المؤمن».

نستنتج ممّا سبق أنّ الحبّ في غير الله يُعدُّ نوعاً من الشرك؛ لأنّ عاطفة الحبّ عندما تتّجه إلى شخص بسبب جمال ظاهري أو باطني فهذا الجمال منشؤه الله عزّ وجلّ، والغفلة عن مصدر الجمال والاتّجاه إلى غيره شرك.

وعندما يحضّ الإسلام على حبّ الله، فإنّ هذا الحبّ يتّجه إلى أحباب الله وأوليائه أيضاً، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى أنّ حبّ أولياء الله يبعث على ذكر الله، حيث تتجلّى صفاته عزّ وجلّ في سيرة أوليائه وبالنهاية يقرّبنا من الله زلفى.

وعلى هذا الأساس أيضاً وهو أساس الحبّ لله، يأتي الرفض والتبرّي من أعدائه والكافرين به؛ لأنّ عدوّ حبيبي عدوي.

وتجسّد الآية الكريمة هذا المعنى بشكل رائع: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.[١]

فهناك علاقات حميمة بين المؤمنين وحّدَها الحبُّ الإلهي وهو نفسُ الحبّ الذي جعل منهم كتلة قويّة شديدة البأس ضدّ أعداء الله.

وقد جاء في زيارة عاشوراء هذا الميثاق الإلهي:

«إنّي سِلْمٌ لمنْ سالمكم وحَربٌ لمنْ حاربكم إلى يومِ القيامة».[٢]

ويتحقّق الصِّدْق في الحبّ الإلهي من خلال أمرين:

الأوّل: طاعة الله عزّ وجلّ في أوامره ونواهيه؛ لأنّه ليس صادقاً من يدّعي الحبّ ولا

---

١. الفتح:٢٩.

٢. *مفاتيح الجنان*: زيارة عاشوراء.

يُطيع الحبيب، والله سبحانه وتعالى يحبُّنا وهذه نعمُهُ الوافرة تغمرنا ونحنُ نُطيعهُ ونشكرُه لنُعبّر عن حُبّنا له، كما أنّ الشكر يزيد في النعم قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.[1]

فتتنامى النّعم إلى أن تصل بالإنسان إلى أعلى درجة وأسمى مقام.

الثاني: إنّ الحبّ الإلهي يستلزم القيام بواجبات اجتماعيّة، من قبيل طاعة الوالدين وكسب رضاهما وصلة الرحم والإحسان إلى الجيران والعطف على المساكين والفقراء، إضافةً إلى البراءة ومعاداة أعداء الله، وقد حدّد القرآن الكريم قاعدة الانطلاق في علاقات الصّداقة وقضايا العداء: قال الله تعالى: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[2]

وقال عزّ وجَلّ: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ﴾.[3]

من هنا فإنّ ميثاق الأُخوة الإسلامية ميثاق أصيل نابع من صميم العقيده الإسلامية و هو جوهر هذه العقيدة و شعارها.

---

١. إبراهيم:٧.

٢. النساء:١٤٤.

٣. الممتحنة:١.

الخُلاصة

أولى خطوات النبيّ صلى الله عليه وآله لدى وصوله المدينة المنوّرة هي تنظيمه ميثاق الأُخوّة بين المهاجرين والأنصار، وقد نجم عن ذلك علاقات بين أفراد المجتمع الإسلامي غاية في الصميميّة والمودّة والحبّ.

جعل الله عزّ وجلّ التقوى معياراً أساسياً في تفوّق الإنسان وحدّد العلاقات الاجتماعيّة وفق أساس الحبّ والبغض في الله، كما أنّ الحبّ في الله والبغض في الله يتحقّق من خلال القيامِ بواجبات اجتماعيّة تجاه أولياء الله وقطع كلِّ أشكال العلاقات الودّية مع أعدائه.

الأسئلة

١. أُذكر معيار التفاضل في الإسلامِ واستشهد بالآية الكريمة في سورة الحجرات.

٢. أُذكر حديثاً نبويّاً شريفاً يبرز أهميّة الأُخوّة والأُلفة بين المؤمنين.

٣. ماذا قال النبيّ صلى الله عليه وآله عن أقوى آصرة إيمانيّة؟

٤. ماهي الغاية من دعوة الإسلامِ لنا في مودّة المؤمنين وتولّي أولياء الله؟

٥. ماذا يقول القرآن الكريم في وصف نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وأنصاره؟

٦. ماهي القاعدة التي ينطلق منها الإنسان المؤمن في حبّ الله وبغض أعدائه؟

الدرس الثالث

حقوق الوالدين

علمنا إنّ الإسلام منهج اجتماعي، يقيم أتباعه علاقاتهم الاجتماعية في سبيل الله سبحانه والحصول على رضاه. والمودّة والمحبّة فيما بينهم لها هدف إلهي وسعادة أفراد المجتمع تتحقّق من خلال الاعتصام بحبل الله.

وقد بين الإسلام لنا واجبات ووظائف دينية، تبلور علاقاتنا الاجتماعية، فمعرفتها والعمل بها سبب في اكتساب رضا الله، وبالتالي تحقيق سعادتنا في الدنيا والآخرة.

إذا أردنا معرفة واجباتنا إزاء الآخرين فعلينا أوّلاً أن نعرف حقوقهم علينا.

في هذا الدرس وفي الدروس القادمة، سوف نتعرّف على أهمّ الحقوق والواجبات التي ينبغي على المؤمنين أدائها وتحمّلها. وقدخصصنا هذا الدرس لمعرفة حقوق الوالدين.

١. الإحسان بالوالدين

من أعظم الواجبات في الإسلام هو حقوق الآباء على الأبناء، فقد قرن الله عزّ وجلّ الإحسان للوالدين مع عبادته سبحانه، فقال في كتابه العزيز: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِياهُ وَبِالْوَالِدَينِ إِحْسَانًا إِمَّا يبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ

لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.[١]

في هذه الآيات الكريمة نجد توحّداً في الأمر الإلهي؛ فجعل عبادته سبحانه مقترنة بالإحسان للوالدين. يقول الإمام الصادق في توضيح معنى الإحسان في هذه الآية:

«الاحسان أن تُحسن صحبتهما وألّا تكلفهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتاجان إليه وإن كان مستغنيين».

أي يتوجب على المؤمن أن يكون في غاية الطيبة في تعامله مع والديه وأن يتفقد حاجاتهما بنفسه قبل أن يسألاه.

وجاء في السيرة أنّ أحدهم سأل نبيّنا محمّداً صلى الله عليه وآله:

«ما حقّ الوالدين على ولدهما؟ فقال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله: هما جنتك ونارك».[٢]

يعني أنّ مصير الإنسان في الآخرة يتوقّف على علاقاته مع والديه. وفي هذا المعنى جاء الحديث الشريف:

«الجنة تحت أقدام الأمّهات».[٣]

فإذا كان هدفنا دخول الجنة فعلينا أنّ نكون في منتهى التواضع للوالدين؛ لأنّ الجنة تحت أقدامهما، فالإحسان للوالدين هو الطريق الذي يوصلنا إلى الجنة.

وبالرغم من كثرة الأحاديث حول حقوق الوالدين على الأبناء غير انّنا نجد تأكيداً على أولوية حقّ الأم. يقول الإمام السجاد سيّدنا علي بن الحسين عليه السلام في رسالته المعروفة «رسالة الحقوق»:

«فأوجبها عليك حقّ أمك، ثُمّ حقّ أبيك، ثُمّ حقّ ولدك...».[٤]

---

١. الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤.

٢. *الترغيب والترهيب*: ٣/٣١٦.

٣. *كنز العمال*: ح ٤٥٤٣٩.

٤. *بحارالأنوار*: ٧٤/ ٣.

ثُمّ يفصّل الإمام السجاد عليه السلام حقوق الأم قائلاً:

«فحق أُمك أن تعلم أنّها حملتك، حيث لا يحمل أحدٌ أحداً وأطعمتك من ثُمّرة قلبها ما لا يطعم أحدٌ أحداً، وأنّها وقتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة بذلك فرحة محتملة لما فيه مكروهها وألمه وثقله حتّى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض، فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظمأ، وتظلّك وتضحى، وتنعمك ببؤسها وتلذذك بالنوم بأرقها وكان بطنها وعاءً وحجرها لك حواءً وثديها لك سقاءً ونفسها لك وقاءً؛ تباشر حرّ الدنيا وبردها لك ودونك فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلاّ بعون الله و توفيقه».[1]

وهذه الصورة الرائعة التي يرسمها لنا سيّدنا علي بن الحسين، تجسّد عاطفة الأمومة، التي هي قبس من الرحمة الإلهية، حيث حضن الأمِ مهد مغمور بالدفء والحنان الذي لا يمكن إدراكه.

ثُمّ يعود الإمام فيذكر حقوق الأب مفلسفاً ذلك في قوله:

«وأمّا حقّ أبيك فتعلم أنّه أصلك وأنّك فرعه وأنّك لولاه لم تكن فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك، فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك».[2]

٢. اجتناب الإساءة

إنّ أقل شيء يعبّر فيه المرء عن استيائه، هو أن يتأفف و التأفف صوت ينشأ عن زفير حادّ وحتّى هذا الحدّ الأدنى من الاستياء عدّه الله عزّ وجلّ إساءةً للوالدين ونهى عنه عبده، فقال الله تعالى :﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾.[3]

---

١. *بحارالأنوار*: ٧٤/ باب١، ح٢.

٢. المصدر.

٣. الإسراء: ٢٤

يقول الإمام الصادقعليه السلام:

«أدنى العقوق "أفٍ" ولو علم الله شيئاً أهون منه لنهى عنه».[١]

فإذا كانت "أفٍ" في أوّل الممنوعات فما بالك بالكلمة البذيئة ورفع الصوت عليهما في الكلام؟!

فلا نعجب أن نرى عقوق الوالدين من ضمن الكبائر، أي الآثام والذنوب الكبرى التي يحاسب الله سبحانه حساباً شديداً.

يقول نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله:

«إنّ أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة: الشرك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير الحقّ، والفرار في سبيل الله يوم الزحف، وعقوق الوالدين».[٢]

ويقولصلى الله عليه وآله في حديث آخر:

«يقال للعاق اعمل ما شئت فإنّي لا أغفر لك».[٣]

وهذا يعني أن عقوق الوالدين، سبب في الحرمان من الجنة والغفران يوم القيامة طبعاً أن العقوق ذنب كسائر الذنوب، وقد فتح الله عزّ وجلّ باب التوبة لعباده، ومن الممكن أن يتدارك المرء ما بدر منه إزاء والديه ويصلح ما فاته.

ونشير هنا إلى نقطتين:

١. مصاديق الإساءة للوالدين وعقوقهما ونورد بعض الأحاديث في ذلك، فمنها حديث نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله:

«من أحزن والديه فقد عقهما».[٤]

---

١. *بحارالأنوار*: ٧٤/٦.

٢. *الترغيب والترهيب*: ٣/٣٢٧.

٣. *كنز العمال*: ح٢٥٥٢٧.

٤. *كنز العمال*: ح٤٥٥٣٧.

و قول الإمام الصادقعليه السلام:

«من العقوق إنّ ينظر الرجل إلى والديه فيحدّ النظر اليهما».[1]

ويصل العقوق درجة حساسة عندما يظلم الأبوان ابنهما، ولكن الابن مطالب حتّى في هذه الظروف بألاينظر إلى أبويه نظرة فيها مقت.

يقول الإمام الصادقعليه السلام:

«من نظر إلى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة».[2]

٢. عدم اقتصار العقوق على إسلامية الوالدين وشموله لغير المسلمين، إنّ النهي عن الحقوق والقيام بالواجبات التي تجسّد معنى الإحسان للوالدين تبقى في قوّتها. والابن المسلم مطالب بطاعة أبويه في كلّ شيء ماعدا الشرك بالله سبحانه.

يقول عزّ وجلّ: ﴿وَوَصَّينَا الإنسان بِوَالِدَيهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَينِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيكَ إِلَى الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى إنَ تُشْرِكَ بِي مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيا مَعْرُوفًا﴾.[3]

كان زكريا بن إبراهيم نصرانياً، ثمّ اعتنق الإسلام على يد الإمام الصادقعليه السلام فسأل زكريا يوماً الإمام مستفتياً:

إنّ لي اُمّاً كفّ بصرها وأنا أعيش مع أهلي وآكل من طعامهم في آنيتهم فما حكم ذلك؟ فسأل الإمام: هل يأكلون لحم الخنزير؟ قال زكريا: كلا يا سيّدي. فقال الإمام: كل معهم وأحسن إلى اُمك ما استطعت.[4]

ويعود زكريا إلى الكوفة فيبالغ في إكرام اُمه وخدمتها؛ يطعمها بيده ويغسل ثيابها ويشرف على نظافتها، حتّى تعجّبت منه؛ فسألته يوماً يا ولدي عندما كنت على ديننا لم

---

١. بحارالأنوار: ٦١/٧٤.

٢. بحارالأنوار: ٧٤/ ٦١.

٣. لقمان: ١٤ ـ ١٥.

٤. بحارالأنوار: ٣٧٤/٤٧.

تفعل بي ما تفعله هذه الأيّام إنّك لتحسن لي وترحمني وتتودد إلي؟! قال زكريا لأمه بأدب الإسلام: إنّ رجلاً من ذرّية النبي أوصاني بذلك. قالت الأم: أهو نبي؟ قال الابن: لا يا أُمي أنّه من أبناء النبي. قالت الأم: ولكن هذه وصايا الأنبياء. قال زكريا: يا أُمي إنّه ليس بنبيّ، ولكنه من أبنائه وهو إمام. قالت الأم بحنان: يا بني يا زكريا الزم دينك إنّه لمن أفضل الأديان، ثُمّ قالت: عرّفنيه يا ولدي. وراح زكريا يشرح لها عقيدة الإسلام وما أوصى به الله عزّ وجلّ أتباع هذا الدين الحقّ. وخشع قلب الأم فاعتنقت الإسلام وتعلمت الصلاة، فلما حان وقت الظهر صلّت الظهر، ثُمّ صلت العصر ولما غابت الشمس صلت المغرب، ثُمّ صلت العشاء، ثُمّ شعرت بوعكة ألزمتها الفراش.

وشاء الله سبحانه أن تلتحق بالرفيق الأعلى فأسلمت الروح إلى بارئها وتوفيت مسلمةً مؤمنةً وحضر المسلمون جنازتها فشيعت ودفنت في مقابر المسلمين.

٣. اللين والرحمة

في مطلع الدرس قرأنا بخشوع آيات بينات في سورة الإسراء وقد جاء فيها: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.[١]

وهذا التعبير البليغ يصوّر بدقّة منتهى التواضع المطلوب من الأبناء إزاء آبائهم.

يقول الإمام الصادق عليه السلام موضحاً كيفية التعامل:

«لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلاّ برحمة ورقة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدّم قدّامهما».[٢]

ثُمّ يستطرد عليه موضحاً منطوق الآية الكريمة: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ قائلاً: «إن ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما».[٣]

---

١. الإسراء: ٢٤

٢. *بحار الأنوار*: ٧٤/٣٩ ـ ٤٠.

٣. *الكافي*: ٢/١٥٨.

الخُلاصة

الإسلامِ دين اجتماعي يقوم أتباعه بصياغة علاقاتهم الاجتماعية في سبيل الله وكسب رضاه، لذا فمن واجباتنا اليومية أن نعرف حقوق الآخرين علينا لكي نؤدي واجباتنا إزاءهم.

من ضمن الحقوق في الإسلامِ حقوق الوالدين والإحسان بهما، وقد جعل الله ذلك مقروناً بطاعته سبحانه. ووصف نبيّنا محمّدﷺ الإحسان بالوالدين بأنّه أعظم الواجبات فهما، كما قالﷺ: «جنتنا ونارنا» فنحن مأمورون بالإحسان بالوالدين سواء كانا مسلمين أو مشركين.

الأسئلة

١. ماذا يقول القرآن الكريم في موضوع الإحسان بالوالدين؟
٢. اذكر حديث الإمامِ السجاد في رسالة الحقوق حول حقوق الأمِ؟
٣. أُذكر حديث نبيّنا محمّدﷺ حول عقوق الوالدين.
٤. أُذكر مصاديق عقوق الوالدين وفقاً لما جاء في الروايات.
٥. كيف وضّح الإمامِ الصادقعليه السلام معنى الآية ٢٥ من سورة الإسراء؟

الدرس الرابع

صلة الرحم

من الحقوق الاجتماعية التي أكّد عليها الإسلام ودعا المسلمين إلى الالتزام بها، هي تعزيز العلاقات الحسنة مع الأقارب وما عرف بـ «صلة الرحم». فالمطلوب من المسلم المؤمن، زيارة ذويه وأقاربه وتفقدهم وبرّهم، يساعد محتاجهم ويغيث المكروب منهم ويتضامن معهم ويتعاون إيّاهم على البرّ والتقوى، فإن حلّت مصيبة بأحدهم، هبّ لمؤاساتهم وإن واجهت مشكلة فرداً منهم بادر إلى التعاون في حلّها، وإن بدرت من أحدهم بادرة سوء تحملها أو رأى انحرافاً لدى واحد من أقاربه وعظه ونصحه بالتي هي أحسن.

فالأرحام والأقارب والعشيرة سند للإنسان؛ لأنه إن حلّت به من عاديات الزمن نكبة اتجهت انظاره إليهم؛ لهذا عظم حقّهم.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«أيّها الناس أنّه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم وهم أعظم الناس حيطة من ورائه وألمّهم لشعثه وأعطفهم عليه عند نازلة إذا نزلت به».[1]

---

١. *نهج البلاغة*: الخطبة ٢٣.

ثُمّ يقول عليه السلام:

«ألا لايعدلنّ أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسرّها بالذي لايزيده إن أمسكه ولا ينقصه إن أهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته، فإنّما تقبض منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه أيد كثيرة ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودّة».[1]

ويصوّر الإمام في هذا المقطع الخسائر التي تنجم عن قطع المرء علاقاته مع قومه وذويه، أنّ قومه يخسرون فرداً واحداً، أمّا قاطع الرحم فإنّه يخسر الكثير الكثير من الأفراد. وأشار الإمام إلى أنّ حسن المعاشرة يجتذب حبَّ عشيرته له وفي هذا خير كثير.

إنّ كلّ عشيرة أو أُسرة كبيرة تتألف من عدد من الأفراد. وهؤلاء الأفراد متفاوتون في استعداداتهم وإمكاناتهم وقابلياتهم؛ فتجد فيهم الغني والفقير والقوي في جسمه والضعيف، والعالم والجاهل وذوي الجاه والمغمور و... فأي شيء يا ترى يحقّق لهذا الكيان توازنه وتكامله وقوّته؟ إنّ العلاقات الصميمية والمسؤولة، التي تتبلور في التضامن والتكامل والتعاون هي التي تحقّق هذه الغاية المنشودة.

الثري يأخذ بأيدي الفقراء من قومه وعشيرته، والقوي يساند الضعفاء من ذويه على الحقّ ويقف إلى جانبهم ضد العدوان. أنّ صلة الرحم في العشيرة والقوم تخلق كياناً متماسكاً قوياً وعزيزاً.

من هنا نرى في آداب الإسلام تأكيداً على المسلمين في تعزيز العلاقات الأخويّة فيما بينهم وتحذيراً من قطع هذه العلاقات في كلِّ الظروف.

والأحاديث الشريفة ترتفع بصلة الرحم إلى الدين والإيمان؛ فعن الإمام الباقر عن آبائه عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله قال:

«أُوصي الشاهد من أُمتي والغائب منهم ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى

---

١. المصدر.

يوم القيامة إنّ يصل الرحم وإن كان منه على مسيرة سنة، فإنّ ذلك من الدين». [١]

وعن الإمام زين العابدين عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«من سرّه أن يمدّ الله في عمره وأن يبسط في رزقه فليصل رحمه، فإنّ الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق تقول: يا رب صِلْ من وصلني واقطعْ من قطعني». [٢]

وعن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«من ضمن لي واحدة ضمنت له أربعة: يصل رحمه فيحبّه الله تعالى ويوسّع عليه رزقه ويزيده في عمره ويدخله الجنة التي وعده». [٣]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«صلة الأرحام تُزكّي الأعمال وتنمي الأموال وتدفع البلوى وتنسي من الأجل». [٤]

فأنت ترى في ذلك الدين والإيمان وطول العمر والرزق الوفير وحبّ الله ورضاه والجنّة. أن صلة الرحم ضمان للمرء في الدنيا بالغنى وفي الآخرة في الجنة ورضوان من الله أكبر، ومعنى هذا حياة طيبة في الدنيا ومصير مشرق في الآخرة.

فإذا عرفنا أهمّية صلة الرحم، فهل يصحّ التعلل بطول المسافة وكثرة المشاغل في قطع العلاقات بين المرء وأقاربه؟ وهل يجوز لأحدهم ذلك إن واجهه أحد ذويه بقول ظالم أو فعل؟

إنّ نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار من آله عليهم السلام يرسمون للمسلم المؤمن طريقاً مضيئاً يرضاه الله لعباده. جاء في الروايات أنّ أحدهم شكى للنبي أذى قومه وعشيرته وأنّه رأى اجتناب قومه وقطع علاقته بهم فقال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

إذن يمقتك الله. فقال الرجل: فما أفعل يا رسول الله؟ قال: «تعطي من حرمك

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٤/ باب صلة الرحم.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٤/ باب صلة الرحم.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٤/ باب صلة الرحم.

٤. المصدر.

وتصلُ من قطعك وتعفو عمّن ظلمك، فإذا فعلت ذلك كان الله عزّ وجل لك عليهم ظهيراً».[١]

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«صلوا أرحامكم وإن قطعوكم».[٢]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ صلة الرحم والبرّ ليهوّنان الحساب ويعصمان من الذنوب، فصلوا أرحامكم وبرّوا بإخوانكم ولو بحسن السلام وردّ الجواب».[٣]

وعن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«صلوا أرحامكم ولو بالسلام».[٤]

وعنه أيضاً صلى الله عليه وآله:

«صل رحمك ولو بشربة من ماء وأفضل ما يوصل به الرحم كف الأذى عنها».[٥]

ومن خلال هذه الأحاديث الشريفة يمكننا أن نتصوّر صلة الرحم في وجود علاقات طيبة فأنت لا تستطيع إنْ تزور قريباً لك لبعد المسافة أنّ رسالة رقيقة سوف تعزز علاقاتك به وتؤدّي دور صلة الرحم، كما أنّ تحية طيبة تلقى بها قريبك وذوي رحمك هي أيضاً من صلة الرحم، حتّى عندما تقدم له قدح ماء تكون قد أدّيت لوناً من صلة الرحم.

بل وحتّى كفّك الأذى عن أقاربك هو شكل من أشكال صلة الرحم وقد عدّه النبي صلى الله عليه وآله من أفضلها.

---

١. *إحياء العلوم*: كتاب الصحبة والمعاشرة.

٢. *بحارالأنوار*: ٧٤/٤٠٤

٣. المصدر.

٤. المصدر.

٥. *بحارالأنوار*: ٧١/٨٨، ١٠٣، ١١٧

قطع العلاقات مع الأرحام

الآن وقد عرفنا ما لصلة الرحم وإقامة العلاقات الطيبة مع الأقارب من أهمّية دينية، ينبغي لنا أن نعرف أيضاً، ما لقطع الرحم من آثار ونتائج في حياة الإنسان المسلم.

قال الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾.[1]

وقال عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.[2]

لقد قرن الله سبحانه قطع الأرحام بالفساد في الأرض، وقال أتأملون في الخلاص والنجاة وأنتم تفسدون في الأرض وتقطعون الأوامر فيما بينكم وعلاقات الرحم هذه الأواصر التي أمر الله بتعزيزها وتقويتها.

وتأتي الأحاديث الشريفة لتوضح بعض العواقب الوخيمة من جرّاء قطع الأرحام.

قال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«إنّ الرحمة لاتنزل على قوم فيهم قاطع رحم».[3]

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار».[4]

---

١. محمّد:٢٢.

٢. البقرة:٢٧.

٣. *كنز العمال*: ح ٦٩٧٨.

٤. *بحار الأنوار*: ٣٦٩/٧٠.

وعنه عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً حتّى يرى وبالهنّ: البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها».[١]

إنّ الرحمة الإلهية وفقاً لهذه الأحاديث لن تشمل الذين يقطعون علاقاتهم مع ذويهم وأرحامهم وهذه الظهرة السلبية إذا سادت في قومٍ تتجدد ثرواتهم وتنتقل إلى أيدي الأشرار، وواضح أنّ صلة الرحم التي هي في أحد وجوهها حالة من التضامن الأخوي سوف تتحطم فإذا تحطمت وغاب الشعور بالمسؤولية سهل على الناهبين والأشرار النفوذ فيهم والسيطرة على أموالهم.

كما أنّ قطيعة الرحم من الأعمال والخصال التي يرى المرء نتائجها السلبية في الدنيا؛ لأنّ تخريب العلاقات وهدمها له آثار اجتماعية خطيرة وسريعة؛ لأنّ من يقطع رحمه كمن يزرع شوكاً لا يحصد إلاّ شوكاً ومن يزرع الشر يحصد الندمِ والخسران.

---

١. المصدر: ٧١/١٣٤ و ٧٢/٢٧٤.

الخُلاصة

من أهمّ الواجبات و الحقوق الدينية الاجتماعية هي صلة الرحم وإقامة علاقات حسنة مع الأقارب، وصلة الرحم تعني التضامن والتعاون والتكافل بين أفراد العشيرة، وتعني الاشتراك في الأفراح والأتراح. وقطيعة الرحم توجب الخسران في الدنيا والندم في الآخرة.

الأسئلة

١. ما هو المراد من صلة الرحم؟
٢. بين كيفية صلة الرحم في ضوء الروايات الإسلامية؟
٣. أُذكر حديث الإمام الرضا في صلة الرحم؟
٤. أُذكر حديثاً لنبيّنا محمّدﷺ في صلة الرحم؟.
٥. أُذكر آية كريمة تتحدّث عن قطيعة الرحم؟
٦. اذكر حديثاً يرويه الإمام الباقر عن أمير المؤمنين في التحذير من بعض الخصال السيئة.

الدرس الخامس

حقوق الجوار

أكدّت الشريعة الإسلامية على حسن الجوار وجعلته جزءاً لا ينفك من الدين والإيمان.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«عليكم بحسن الجوار، فإنّ الله عزّ وجلّ أمر بذلك».[1]

والأمر الإلهي هذا نجده في الآية الكريمة من قوله تبارك وتعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.[2]

يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

مازال جبرئيل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنّه سيورّثه.[3]

ويقول سيّدنا علي عليه السلام في وصيته:

الله الله في جيرانكم، فإنّه وصية نبيكم مازال يوصي بهم حتّى ظنّنا أنّه سيورّثهم.[4]

---

١. المصدر: ٦٩، ح١١.

٢. النساء:٣٦.

٣. *كنز العمال*: ح ٢٤٩١٣.

٤. *بحار الأنوار*: ١٥٣/٧١.

وهذا التعبير في كلا الحديثين يجعل من حرمة الجيران على مستوى بالغ من الحساسية. وفيما يلي طائفة من الأحاديث الشريفة وهي من وصايا رسول الإسلام ﷺ:

١. أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً.[١]

٢. حرمة الجار على الإنسان كحرمة أُمه.[٢]

٣. ما تأكّدت الحرمة بمثل المصاحبة والمجاورة.[٣]

٤. سئل النبي ﷺ:

يا نبي الله أ في المال حق سوى الزكاة؟ فقال: «نعم، برّ الرحم إذا أدبرت وصلة الجار المسلم، فما آمن بي من بات شبعاناً وجاره المسلم جائع».[٤]

٥. وجاء رجل إلى رسول الله يستشيره في شراء دار، فقال النبي ﷺ:

«الجار ثُمّ الدار، الرفيق ثمّ السفر».[٥]

٦. وجاء في الأثر:

«إنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه: أتدرون ما حقّ الجار؟ قالوا: لا. قال: «إن استغاثك أغثه، وإن استقرضك أقرضه، وإن افتقر عُدْت إليه، وإن أصابه خير هنّأته، وإن مرض عدته، وإن أصابته مصيبة عزّيته، وإن مات تبعت جنازته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلاّ بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فاهدها له وإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدك يغيض ولده ولا تؤذه بريح قدرك إلاّ أن تغرف له منها».[٦]

---

١. المصدر: ١١٦/٧٤.

٢. المصدر: ١٥٤/٧٣.

٣. عيون الحكم والمواعظ، ٤٧٦.

٤. *بحار الأنوار*: ١٥١/٧١.

٥. *ميزان الحكمة*: ٤٨٧/١، ح ٦٤، باب تقدّم البحار على الدار.

٦. *بحارالأنوار*: ٧٩ / ٩٣، باب التعزية والمآتم.

٧. وجاء في رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام:

«أما حقُّ جارك فحفظه غائباً وإكرامه شاهداً ونصرتهُ إذا كان مظلوماً ولا تتبع له عورة فإن علمت عليه سوءاً سترته وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه ولا تسلمه عند شديدة وتُقيل عثرته وتغفر ذنبه وتعاشره معاشرةً كريمة».[١]

وكان الإمام الحسن عليه السلام في صباه يرى والدته السيّدة الزهراء ترفع كفّيها إلى السماء في صلاة الليل، فتدعو لجيرانها واحداً واحداً، وكان هذا ديدنها في ليالي الجمعات، فسألها يوماً:

«لِمَ لا تدعين لنفسك يا أُماه؟ فقالت سيّدة نساء العالمين: يا بني الجار ثُمّ الدار».[٢]

وأهل البيت عليهم السلام كانوا مثالاً في حسن الجوار وكانوا يحثون الناس على ذلك من خلال بيان فوائده وعوائده على من تأدب به يقول سيّدنا علي بن أبي طالب عليه السلام:

«من أحسن إلى جيرانه كثر خدمه».[٣]

ويقول عليه السلام:

«من حسن جواره كثر جيرانه».[٤]

ومن تجارب الحياة الإنسانية إنّ المرء إذا أحسن إلى جيرانه وعاشرهم معاشرة حسنة. مدّوا له جسور المحبّة والمودّة وتسابقوا إلى خدمته، تعبيراً عن حبّهم له واحترامهم. وحسن الجوار يجعل الناس يتهافتون على التعرّف عليه وخطبهم ودّه؛ فيكثر جيرانه وتتوسّع دائرة علاقاته الطيبة مع الناس.

---

١. *بحار الأنوار*: ٧١ /٧، باب جوامع الحقوق.

٢. *بحار الأنوار*: ٨١/٤٣ و ٣١٣/٨٦.

٣. *غرر الحكم*: ٤٣٧

٤. المصدر.

وحسن الجوار له آثار إيجابية مباركة في الحياة الإنسانية؛ فهو يزيد في الرزق ويكون سبباً في نمو العمران ويزيد في عمر الإنسان. يقول الإمام الصادقعليه السلام:

«حسن الجوار يزيد في الرزق»[١]

ويقولعليه السلام أيضاً:

«حسن الجوار يعمر الديار ويزيد في الأعمار».[٢]

إيذاء الجيران

في مقابل تأكيد الشريعة الإسلامية على معاشرة الجيران معاشرة حسنة، فإنّها حذرت من أي سلوك ينطوي على إيذاء الجيران وجعلت مسألة حسن الجوار وكفّ الأذى عنه محكاً للإيمان بالله واليوم الآخر. يقول سيّدنا ونبينا محمدصلى الله عليه وآله:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره».[٣]

وجاء رجل من الأنصار إلى النبيصلى الله عليه وآله قائلاً:

يا رسول الله ابتعت داراً ولي جار لا آمل خيره ولا آمن شره. فدعا النبيصلى الله عليه وآله أربعة نفر هُم: علي، وسلمان، وأبوذر، والمقداد وأمرهم أن ينادوا في المسجد بصوت عال: «لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه».[٤]

وجاء رجل إلى نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله يشكو جاره فقال له النبيصلى الله عليه وآله:

اصبر ثُمّ جاءه مرّة أُخرى فقال له: اصبر ثُمّ جاءه ثالثة فأمره بإخلاء داره من المتاع والجلوس في قارعة الطريق، فإذا سأله الناس عن حاله شكى لهم أذى جاره. ولمّا رأى الجار المؤذي ذلك خاف الفضيحة بين الناس؛ فاعتذر إليه وطلب منه العودة إلى داره وعاهده على كفّ الأذى.

---

١. *بحار الأنوار*: ٥٣/٧١.

٢. *الكافي*: ٦٦٧/٢.

٣. *بحار الأنوار*: ٤٣، باب٦١/٣.

٤. *وسائل الشيعة*: ١٢٥/١٢، باب وجوب كف الأذى عن الجار.

وبين الإحسان إلى الجار وإيذائه منطقة ثالثة هي عدم الاهتمام بالجيران لايدري جاعوا أم شبعوا فرحوا أم حزنوا وقد نددت أحاديث نبيّنا محمّدﷺ والأئمة الأطهار من آله عليهم السلام بالمسلم الذي لا يكترث بحال جيرانه. قال نبيّنا محمّدﷺ:

«ليس بالمؤمن الذي يبيت شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه».[1]

وروى سيّدنا علي عليه السلام عن النبيﷺ قوله:

«ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعاناً وجاره جائع.

فقال أصحابه: إذاً هلكنا يا رسول الله.

فقال رسول اللهﷺ:

من فضل طعامكم ومن فضل تمركم وورقكم وخُلقكم وخرقكم تُطفئون بها غضب الربّ».[2]

وفي هذا الحديث الشريف دعوة إلى تفقد الفقراء من الجيران وإهدائهم ما يفيض عن الحاجة من غذاء وكساء كلّ هذا في إطار من المحبّة والخلق الكريم.

أمّا الحدود التي تحدد مساحة الجوار فنجدها في حديث للإمام علي عليه السلام يقول فيه:

«حريم المسجد أربعون ذراعاً والجوار أربعون داراً ومن أربعة جوانبها».[3]

وقد اقتدى علماء الإسلام بسيرة نبيّنا محمّدﷺ وآله الأطهار فكانوا أمثلة رفيعة في حسن الجوار.

يروي الفقيه الكبير السيّد جواد العاملي قصّة وقعت له:

كنت جالساً ذات ليلة أتناول طعام العشاء فطرق الباب طارق ولما فتحته، رأيت خادم أُستاذي العلّامة بحر العلوم؛ فقال لي: إنّ الأُستاذ يدعوك وهو لا يتناول طعامه حتّى تحضر. فأسرعت في ارتداء ثيابي والذهاب إليه، ولما دخلت عليه

---

١. *كنز العمال*: ح ٢٤٩٢٩.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٧/ باب ٧.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٧/باب ٧.

وجدت الغضب بادياً على وجهه وبادرني قائلاً: ألا تخاف الله؟ ألا تستحي من الله؟ فقلت مدهوشاً: وهل بدر منّي شيء؟ فقال: جارك فلان وعائلته يتضورون جوعاً وقد مرّ عليهم سبع ليال بلا طعام سوى تمر رخيص. يأخذونه نسيئة من البقال، وقد امتنع البقال هذا اليوم من بيع التمر لهم، بسبب ما تراكم من الدين وهم الآن بلا عشاء.

قلت: أقسم بالله يا أُستاذي إنّي لم أعلم بذلك ولو علمت بحالهم لأسعفتهم، فقال الأُستاذ: إنّني أتألّم لأنّك لم تعلم بحال جيرانك؟ كيف تمرّ عليهم سبع ليال من الجوع وأنت في غفلة عن حالهم؟ ولو أنّك علمت ولم تفعل شيئاً ما كنت مسلماً، بل كنت يهودياً.

ثُمّ أمر الأُستاذ خادمه بحمل طبق الطعام وأمرني أن أصحبه إلى منزل ذلك الجار قائلاً: اذهب إليه بهذا الطعام وقل جئت لأتعشى في منزلك وخذ هذا المبلغ من المال وضعه تحت بساطه.

إنّ هذه الحادثة تدلّ على أن السيّد بحر العلوم كان لا يتفقد حال جيرانه فحسب، بل وحال جيران تلامذته أيضاً.

الخُلاصة

حسن الجوار من الخصال التي حثَّ عليها الدين الاسلامي وجعلها من آداب الإسلامِ وقد أكّد على ذلك نبيّنا محمّد وآله الأطهار، وذكروا آثار حسن الجوار في زيادة الرزق وطول العمر ونمو العمران وإعمار الديار.

جاء في الروايات: إنّ ايذاء الجار وحتّى عدمِ الاهتمامِ بأحواله، سبب في غضب الله وأنّه لا إيمان لمن يؤذي جاره.

الأسئلة

١. أُذكر حديثاً نبوياً في حسن الجوار.

٢. ما هي الفوائد التي بيّنها الإمامِ علي من وراء حسن الجوار؟

٣. أُذكر رواية في باب إيذاء الجيران.

٤. بماذا خاطبِ العلّامة بحر العلومِ تلميذه الذي غفل عن حال جاره؟

الدرس السادس

أدب المعاشرة

تتطلّب العلاقات والروابط السويّة بين أفراد المجتمع أُصولاً ومقاييس يتوجب الالتزام بها وفي هذا يتحقّق مايلي:

أوّلاً: نمو الشخصية الفردية من خلال نجاح علاقاته مع الآخرين، وبالتالي انطلاقها نحو الكمال.

ثانياً: إنّ الفرد من خلال علاقاته يكتشف الحقوق الاجتماعية فلا يقع انتهاك من قبله أو تجاوز على حقوق الآخرين.

ومنظومة الأُصول والقواعد تنقسم إلى قسمين: قسم يتألف من الصفات والخصائص السلوكية التي ينبغي إنّ يتحلّى بها الفرد إزاء الآخرين، وقسم آخر من الصفات السلبية التي يتوجب على المرء اجتنابها.

وبعبارة أُخرى: إنّ هناك أوامر ونواهي أخلاقية ينبغي على جميع أفراد المجتمع الالتزام بها.

والالتزام بذلك يمنح الإنسان ملكة حسن الخلق التي تعدّ في ذاتها جوهر الإنسان ومعدنه.

حسن الخلق

يطمح المرء في علاقاته الاجتماعية أن يكون محترماً، محبوباً وعزيزاً بين الناس، وهذا الميل الإنساني في البحث عن مكانة اجتماعية ناجم عن مخاوف الإحساس بالغربة والانزواء والشعور بالوحدة. وقد أشرنا في الدروس الماضية إلى أنّ معظم حاجات الإنسان المادية والمعنوية لا يمكن تلبيتها إلاّ من خلال الارتباط مع الآخرين ولا يمكن للإنسان أن يحقّق ما يصبو إليه وحيداً، إضافة إلى أنّ مشاعر الغربة والانزواء سوف ترتد إلى روح الإنسان فتصيبه بالكآبة والحزن والشعور بالنقص، وهذه المشكلات التي يواجهها الفرد وحيداً تدفعه إلى إقامة علاقات سوية مع المجتمع يتعلّم خلالها كثيراً من الصفات الإنسانية النبيلة فتتبلور شخصيته الإنسانية وتنمو باتجاه التكامل.

إنّ حسن الخلق سيكون له الدور الأكبر في اجتذاب قلوب الناس، بل إنّه محور لسائر الفضائل، ذلك أنّ الفضائل تفقد قيمتها مالم تتجسد من خلال حسن الخلق فأية قيمة مثلاً يقدمها المرء عابس الوجه مكفهر الملامح ولعلّ المهدى إليه سوف يردّها؛ لأنه لن يشعر بالارتياح بسبب هذه الطريقة من التعامل.

وقد عرّف علماء الأخلاق حسن الخلق: بأنّه حالة نفسية تجعل المرء إنساناً طيباً يتعامل مع الناس بلين الكلام ووجه بشوش.

وقد سئل الإمام الصادقعليه السلام عن حسن الخلق، فقال:

«تلين جناحك وتطيب كلامك وتلقى أخاك ببشر حسن».[١]

ولين الجناح يعني: التواضع الذي يتجسد من خلال السلوك وطريقة الكلام.

وقد ورد في فضيلة حسن الخلق كثير من الأحاديث تصف قيمته وآثاره دنيوياً وأُخروياً.

---

١. *بحار الأنوار*: ٧١/١٧١.

يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً، الموطّئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم».[١]

ويقول صلى الله عليه وآله:

«إنّ صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم».[٢]

ويقول صلى الله عليه وآله أيضاً:

«أوّل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة حسن خلقه».[٣]

ويقول أيضاً:

«ما من شيء أفضل في الميزان من خلق حسن».[٤]

ويقول أيضاً:

«إنّ أحبّكم إلي وأقربكم منّي يوم القيامة مجلساً أحسنكم خلقاً».[٥]

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«لا قرين كحسن الخلق».[٦]

ويقول عليه السلام أيضاً:

«عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه».[٧]

ويقول الإمام الحسن عليه السلام:

«إنّ أحسن الحسن الخلق الحسن».[٨]

---

١. *الكافي*: ٢/١٠٢، باب حسن الخلق.

٢. المصدر: ١٠٠.

٣. *بحار الأنوار*: ٦٨/٣٨٥، باب حسن الخلق.

٤. المصدر: ٦٨/٣٨٥.

٥. المصدر: ٦٦/٤٠٩.

٦. المصدر: ٦٨/٣٩٢.

٧. المصدر: ٣٨٦.

٨. المصدر: ٣٧٢.

ويقول الإمام الباقرعليه السلام:

«إنّ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».[١]

في هذه الطائفة من الأحاديث الشريفة عن النبيصلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار من آلهعليهم السلام بيان لأهميّة حسن الخلق ودوره المصيري في حياة الإنسان.

فقد جعل النبيصلى الله عليه وآله ملاك الأفضلية في حسن الخلق فالذين يستقبلون الناس بالمنطق الجميل وبالوجه الطلق، هم أفضل الناس، ومن خلال هذا السلوك الطيب يكتسب المرء الأجر والثواب؛ لأنّ سلوكه هذا عبادة لا يقل أجرها عن عبادة، الذي يقضي عمره في الصوم والصلاة.

وفي عالم الآخرة يحاسب الإنسان على سلوكه في الدنيا وما من شيء أثقل في ميزان الإنسان ذلك اليوم من حسن خلقه، وكلما تسامى المسلم في حسن خلقه، كان أقرب وأحبّ إلى نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله يوم القيامة.

وقد مجد الله عزّ وجلّ وأثنى على خلق رسوله نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله قائلاً: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.[٢]

ونجد في آية أُخرى توضيحاً لخلق سيّدنا العظيم في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٣] ويصف الإمام علي خلق نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله قائلاً:

«كان أجود كفّاً وأجرأ الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمّة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه فعرفه أحبّه. لم أر مثله قبله ولا بعده».[٤]

---

١. *بحار الأنوار*: ٦٨/٣٧٣.

٢. القلم: ٤.

٣. آل عمران: ١٥٩.

٤. *بحار الأنوار*: ١٦/٢٣١.

فالنبيﷺ كان في الذروة من الأخلاق النبيلة في سخائه وجوده وفي سعة صدره وفي صدقه ووفائه ما خالطه إنسان إلاّ وأحبّه.

ونعزز وصف الإمام علي للنبيﷺ بمثال تاريخي:

كان نبيّنا محمّدﷺ مديناً بمبلغ من المال لرجل يهودي. وذات يوم جاء اليهودي يطالب بدينه، فقال له نبيّنا محمّدﷺ: ليس عندي الآن مالٌ. فقال اليهودي: إذن لا أُفارقك حتّى تسدي إلي المال. فقال النبيﷺ: افعل.

لم يفارق النبيﷺ الرجل اليهودي وأدّى عنده صلاة الظهرين، ثُمّ العشاءين، ثُمّ بات ليلته عنده و صلّى صلاة الفجر.

وجاء أصحاب النبيﷺ فتوعّدوا الرجل اليهودي وهدّدوه، فقال النبي مستنكراً: ما الذي تصنعون؟ قالوا: حبسك هذا اليهودي، فقال النبيﷺ: إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعثني أظلم الناس.

وفي ظهر اليوم التالي شاهد الناس الرجل اليهودي يدخل المسجد ويتّجه نحو النبيﷺ، ثُمّ يقف في حضرته قائلاً: أشهد أنّ لا إله ألّا الله واشهد أنّ محمداً رسول الله.

ثُمّ قال: والله ما فعلت ذلك إلاّ لأعرف صفاتك لأنّنا نجد في التوراة: نبي الله محمّد بن عبد الله مولده في مكّة وهجرته إلى طيبة حسن الخلق لا صخاب ولا لعّان.

وهذا يا رسول الله مالي هو لك تنفقه، حيث تشاء وكان ذلك الرجل ثرياً فوهب ثروته للنبيﷺ.

ونحن مطلوب منّا إنّ نقتدي بنبيّنا محمّدﷺ قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.[1]

كان لخلق نبيّنا محمّدﷺ الأثر الكبير في انتشار الإسلام؛ لأنّ الناس كانوا يرون في سيرته مثالاً إنسانياً كريماً تخشع له النفوس وتخفق له القلوب.

---

١. الأحزاب: ٢١.

الآثار الناجمة عن حسن الخلق

إنّ لحسن الخلق ثُمّاره التي يجنيهاالإنسان في حياته الدنيا قبل الآخرة.

ومن آثاره أنّه يزيد في الرزق.

يقول الإمام الصادقعليه السلام:

«حسن الخلق يزيد في الرزق».[1]

ويقول سيّدناعليعليه السلام:

«حسن الأخلاق يدرّ الأرزاق ويؤنس الرفاق».[2]

ويقولعليه السلام أيضاً:

«من حَسُن خلقه كَثُر محبّوه وآنست النفوس به».[3]

ويقول الإمام الصادقعليه السلام:

«إنّ البرّ وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار».[4]

ويقولعليه السلام أيضاً:

«إنّ حسن الخلق يُذيب الخطيئة، كما تذيب الشمس الجليد، وإنّ سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخَلُّ العسلَ».[5]

إنّ حسن الخلق طاقة إنسانية إيجابية تشع بالدفء، وهي من القدرة على إذابة الخطايا كما يقول الإمامعليه السلام بعكس سوء الخلق الذي يؤدّي دوراً سلبياً ويبدد فوائد العمل الصالح وآثاره.

وقد حذرنا النبيصلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار من آلهعليهم السلام من سوء الخلق وبينوا لنا آثاره الوخيمة.

---

١. *بحارالأنوار*: ٣٩٦/٦٨.

٢. *غررالحكم*: ٢٥٥.

٣. *غررالحكم*: ٢٥٥

٤. *بحارالأنوار*: ٣٩٥/٦٨

٥. المصدر: ٣٩٥/٦٨

قال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«سوء الخلق ذنب لا يغفر».[١]

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«سوء الخلق شرّ قرين».[٢]

ويقول عليه السلام أيضاً:

«سوء الخلق نكد العيش وعذاب النفس».[٣]

ويقول عليه السلام أيضاً:

«سوء الخلق يوحش النفس ويرفع الأنس».[٤]

ويقول أيضاً:

«سوء الخلق يوحش القريب وينفر البعيد».[٥]

ونختتم هذا الدرس بحديث نبوي شريف وهو قول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«خصلتان لاتجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق».[٦]

وفي ضوء هذه الأحاديث نجد أنّ حسن الخلق بآثاره الاجتماعية والفردية الإيجابية، يعود على المرء بالخير الوفير ويشعره بالسعادة والطمأنينة والسلام، بعكس سوء الخلق الذي يجعل النفس الإنسانية تعيش في عذاب دائم.

---

١. *ميزان الحكمة*: ٨٠٦/١ ح ١١١٥.

٢. المصدر.

٣. المصدر.

٤. المصدر.

٥. المصدر.

٦. *ميزان الحكمة*: ٨٠٧/١

الخُلاصة

إنّ إقامة العلاقات الاجتماعية، تلزمها أُصول وقواعد يتوجّب اتباعها، وهذه الأصول قسمان: قسم يشمل تنفيذ الأوامر الإلهية وقسم يشمل النواهي.

إنّ حسن الخلق هو جوهر الأساس في آداب المعاشرة ونجاح العلاقة بين الفرد والمجتمع.

الأسئلة

١. كيف يعرّف علماء الأخلاق حسن الخلق؟

٢. أُذكر الآية الكريمة التي يمجد فيها الله عزّ وجلّ خلق نبيّنا محمّدﷺ.

٣. أُذكر مثالاً تاريخياً في أخلاق النبيﷺ وتعامله مع الآخرين.

٤. أُذكر فائدتين لحسن الخلق.

٥. ماذا قال النبيﷺ عن سوء الخلق؟

الدرس السابع

التواضع

التواضع في طليعة الأصول والأسس الأخلاقية في التعامل مع الناس، وقد جعله تبارك وتعالى من علامات العبودية الخالصة لله. قال الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.[1]

وهذه الصورة التي ترسمها الآية المباركة تعكس حالة من الطمأنينة والوقار والتواضع، ذلك أنّ طريقة المشي تعبر عمّا يموج في ذات الإنسان، فالمتكبر يمشي بطريقة تعكس تكبره وغروره واستعلائه فتراه يصعّر خده للناس فهو يتصوّر نفسه وقد بلغ طوله الجبال أو كأنّه سوف يخرق الأرض بقدميه!

ولذا نجد الإمام عليّ عليه السلام يصف المتقين قائلاً: «ومشيهم التواضع».[2] والتواضع من أهمّ سمات المؤمنين الذين يحبّون الله عزّ وجلّ ويحبّهم قال تبارك وتعالى: ﴿هل يا أيُها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين﴾.[3]

---

١. الفرقان: ٦٣.

٢. *بحار الأنوار*: ٦٧/ باب ١٤، ح ٥٠.

٣. المائدة: ٥٤.

والتواضع من الصفات التي ترفع من قدر الإنسان لدى الآخرين فكلما ازداد تواضعاً ازداد عظمة في عيون الناس. يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«إنّ التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله».[١]

ويقول صلى الله عليه وآله:

«من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه ضعيف وفي أعين الناس عظيم».[٢]

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«قال لقمان لابنه: لا عزّ إلّا لمن تذلّل لله ولا رفعة إلاّ لمن تواضع لله».[٣]

وعنه عليه السلام أيضاً:

«إنّ في السماء ملكين موكّلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبّر وضعاه».[٤]

وقد حثّ أهل البيت عليهم السلام أتباعهم المؤمنين على ارتداء ثوب التواضع؛ لأنّه زينة الشرفاء وهو زكاة الشرف، إضافة إلى كونه أعظم العبادة وهو النعمة التي يحسد عليها، قال الإمام علي عليه السلام:

«زينة الشريف التواضع».[٥]

وقال عليه السلام:

«التواضع زكاة الشرف».[٦]

وقال عليه السلام يوصي ابنه الحسن المجتبى عليه السلام:

«عليك بالتواضع فإنّه من أعظم العبادة».[٧]

---

١. *بحار الأنوار*: ١٨/ باب ٤، ح ٢.

٢. *كنز العمال*: ١١٣/٣، ح٥٧٣٧.

٣. *مشكاة الأنوار*: ٢٢٦.

٤. *بحار الأنوار*: ٥٩/ باب٢٣، ح٥٠.

٥. المصدر: ٧٥/ باب ٥١، ح ١١.

٦. المصدر.

٧. المصدر.

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال:

«التواضع نعمة لا يحسد عليها».[١]

والتواضع ألّا تعدّ نفسك أفضل من الآخرين، ويجب إنّ يتوفر في التواضع ما يلي:

أوّلاً: إنّ التواضع هو في سبيل الله، ولهذا فلا يجوز إلاّ للمؤمنين ويحرم التواضع في التعامل مع الكافرين والمشركين لأنّه ذلّة.

ثانياً: إنّ التواضع أمر مرتبط بالإيمان والتقوى، فالتواضع للأثرياء طمعاً لما في أيديهم تملّق مذموم. وقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله قوله:

«من أتى ذا ميسرة فتخشع له طلب ما في يديه ذهب ثلثا دينه».[٢]

ويقول الإمام علي عليه السلام في هذا المضمار:

«ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله، و أحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله».[٣]

فالتواضع إذاً عمل ميزانه الإيمان و التقوى والعبودية لله عزّ وجلّ ولا يلتفت إلى الثروة و المنصب و المكانة الاجتماعية؛ لأنّ الإسلام لا يعترف إلاّ بالتقوى مقياساً للتفاضل.

ثالثاً: التواضع سلوك متّزن يتّصف بالاعتدال يجتنب الإفراط و التفريط، فالاستغراق والمبالغة في التواضع يؤدّي إلى حالة من الضعة والتفاهة ويقترب من حدود التملّق، والتفريط به، والتقصير يخرج بالمرء إلى حدود التكبر و الغرور. ولذا جاء في الأثر: «التكبر على المتكبر تواضع» لأنّ التواضع للمتكبّر يؤدي بالمرء إلى الإحساس بالضعة و ينفخ في روح المتكبر المزيد من الغرور و التباهي و الشعور بالنرجسية.[٤]

---

١. المصدر: ٧٨/ باب ٢٩، ح ١.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٣/ باب ١٢٢، ح ٥٨.

٣. المصدر: ٧٢/ باب ٩٤، ح ٥٧.

٤. *النرجسية*: أن يرى الإنسان ذاته فقط.

معالم التواضع

ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما يرسم لنا صورة واضحة من معالم التواضع فقد سئل الإمام الرضا عليه السلام عن حدّ التواضع فقال عليه السلام:

«أن تعطي الناس من نفسك ما تحبَ أن يعطوك مثله».[1]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«التواضع أن ترضى من المجلس بدون شرفك و أن تسلّم على من لقيت و أن تترك المراء و إن كنت محقّاً ورأس الخير التواضع».[2]

ويضيف الإمام الصادق علامة أُخرى قائلاً:

«ولا يحب أن يُحمد على التقوى».[3]

آثار التواضع

قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

«كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار؛ لأنّ الله جعل التواضع آلة العقل و جعل التكبر آلة الجهل».[4]

وروي إنّ سيّدنا عيسى بن مريم عليه السلام قال للحواريين:

إن تطيعوني أقول لكم. قالوا: نطيعك يا نبي الله فقام سيّدنا عيسى عليه السلام وغسل أقدامهم واحداً واحداً. شعر الحواريون بالخجل، لكنّهم عاهدوه على الطاعة فتركوه يغسل أقدامهم. فلما انتهى من غسل أقدامهم، قالوا: أنت معلمنا و كان الأجدر أن نغسل قدميك لا أن تغسل أقدامنا.

فقال لهم النبي عليه السلام: لقد فعلت هذا لأُعلمكم أن أجدر الناس بخدمة الناس أنتم

---

١. *بحارالأنوار*: ٧١/ باب٦٣، ح ١١.

٢. المصدر: ٧٥/ باب ٥١، ح ٢٠.

٣. المصدر: ٢/ باب١٧، ح ٢٠.

٤. *بحارالأنوار*: ١٤/ باب٢١، ح ١٧.

تعلمون الناس بعدي. فليكن منهجكم التواضع واعلموا أنّ الحكمة تنبت في أرض التواضع، كالنبات ينمو في الأرض اللينة ولا ينبت في صخور الجبال.

و من ثُمّار التواضع ما بيّنه الإمام علي عليه السلام في قوله:

«ثُمَرة التواضع المحبّة وثُمَرة الكبر المسبّة».[1]

والتواضع يعود على المرء بالسلامة ويكسوه حلّة من الوقار والهيبة.

يقول عليه السلام:

«التواضع يكسبك السلامة».[2]

ويقول أيضاً:

«التواضع يكسوك المهابة».[3]

وعندما يشيع التواضع بين الناس لا يبقى مكان للتفاخر والاستعلاء كما لا يبقى محل للبغي والعدوان. روي عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله قوله:

«إنّ الله تعالى أوحى إلى إنّ تواضعوا حتّى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد».[4]

ونختتم هذاالدرس بحكايتين من سيرة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام:

ورد في السيرة النبوية الشريفة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان في جمع من أصحابه في سفر فلما حان وقت الغداء توقفوا: فقال أحدهم: عليّ ذبح الشاة. وقال آخر: وعليّ سلخها وقال ثالث: وعليّ شويها، هنالك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وعليّ جمع الحطب. قال أصحابه: يا رسول الله نحن نكفيك. فقال صلى الله عليه وآله: أعلم ذلك ولكن الله عزّ وجلّ لا يحبّ لعبد إنّ يمتاز على إخوانه. قال النبي صلى الله عليه وآله ذلك وانطلق يجمع الحطب.

---

١. *غرر الحكم*: ٣٢٧/٣.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٥/ باب ٥١، ح ١١.

٣. المصدر: ٧٧/ باب ١٤، ح ١.

٤. *كنز العمال*: ١١٠/٣، ح ٥٧٢٢.

والحكاية الأخرى ما روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«من تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام حقاً»[١]

ولقد ورد على أمير المؤمنين عليه السلام أخوان مؤمنان أب وابن فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه و جلس بين أيديهما، ثُمّ أمر بطعامٍ فأُحضر، فأكلا منه ثُمّ جاء قنبر بطست وإبريق ليصبّ على يد الرجل، فتمرّغ الرجل في التراب، وقال: يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصبّ على يدي؟! قال: اقعد واغسل فإنّ الله عزّ وجلّ يراك، وأخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضّل عليك يخدمك، يريد بذلك في خدمته في الجنّة عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلى حسب ذلك في مماليكه منها، فقعد الرجل فقال له علي عليه السلام: أقسمت بعظيم حقّي الذي عرفته وتواضعك لله لما غسلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبراً! ففعل الرجل ذلك، فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية وقال: يا بني لو كان هذا الابن حضر دون أبيه لصببت على يده، ولكن الله عزّ وجلّ يأبى إنّ يسوّي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد صبّ الأبُ على الأب فليصبّ الابن على الابن، فصب محمد بن الحنفية على الابن، ثُمّ قال: الحسن بن علي العسكري عليه السلام:

«فمن اتّبع علياً على ذلك فهو الشيعي حقّاً».[٢]

---

١. *بحار الأنوار*: ٥٥/٤١ و ١١٧/٧٢

٢. المصدر: ٤١/ باب ١٠٥، ح ٥.

الخُلاصة

إنّ من أهمّ الخصال الحميدة هي التواضع وقد جعله الله عزّ وجلّ من صفات العبودية. والتواضع من أسباب النمو في الحكمة، والمحبّة والعزّة، وعلوّ المنزلة.

الأسئلة

١. وضح معنى التواضع.
٢. أُذكر أولى صفات عباد الله المخلصين كما ورد في الآية الكريمة ٦٣ من سورة الفرقان؟ ولماذا؟
٣. ماذا يقول الإمام الرضاعليه‌السلام بشأن التواضع؟
٤. أُذكر ثمّار التواضع.

الدرس الثامن

الوفاء بالعهد

الوفاء بالعهد من الأصول الأخلاقية التي يجب على المسلمين الالتزام بها في علاقاتهم الاجتماعية. وقد آكدت آيات القرآن الكريم والروايات المأثورة عن أهل البيتعليهم السلام على هذه الصفة النبيلة والخصلة الحميدة في الحياة الإنسانية.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.[1]

وقال تبارك وتعالى: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾.[2]

فالمؤمن من إذا قال فعل؛ ذلك أنّ الله سبحانه يمقت من لا يكون قوله كفعله قال تعالى: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.[3]

إنّ العهد والعقد والاتفاق واجب تنفيذه والالتزام به. وعلى المسلم إذا عاهد إنساناً سواء كان مسلماً أم كافراً أن يفي له.

وقد كان بين المسلمين والمشركين في صدر الإسلام عهود، فكان النبيصلى الله عليه وآله يفي بالعهد وكان المشركون واليهود يغدرون.

---

١. الإسراء: ٣٤.

٢. المائدة: ١.

٣. الصف: ٢ ـ ٣.

يقول القرآن الكريم: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾.[١]

وجاء في حديث للإمام الصادق عليه السلام:

«ثلاثة لا عذر لأحد فيها: أداء الأمانة إلى البرّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين».[٢]

إنّ الوفاء بالعهد والالتزام بالعقد والاتفاق شرط ضروري ولازم في نظم المجتمع واستقراره، فإذا انتشر الغدر وخيانة الأمانة في المجتمع انفرط عقده وزالت الثقة، وعند ذلك يغيب التعاون الذي هو الأساس في تلبية حاجات المجتمع ويأكل القوي حق الضعيف لهذا أكّد الإمام الصادق عليه السلام على الوفاء والأمانة ولم يعذر أحداً في عدم الوفاء وقال الإمام علي عليه السلام في هذا المدد:

«وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدةً أو ألبسته منك ذمّةً فحط عهدك بالوفاء، وارعَ ذمّتك بالأمانة واجعل نفسك جُنّة دون ما أعطيت؛ فإنّه ليس من فرائض الله شيء إلى الناس أشدّ عليه اجتماعاً مع تفرّق أهوائهم و تشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهد، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر؛ فلا تغدرنّ بذمّتك ولا تخيسنّ بعهدك، ولا تختلنّ عدوك، فإنّه لا يجترئ على الله إلاّ جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمّته أمناً أفضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره، فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فيه».[٣]

أهمّية الوفاء بالعهد

من خلال النصوص القرآنية المقدّسة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام عرفنا وجوب الوفاء بالعهد للمسلم وغير المسلم.

---

١. التوبة: ٤.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٤/ باب ٢، ح ٤٦.

٣. *نهج البلاغة*: كتاب ٥٣.

والآن لنعرف أهمّية الوفاء وموقعها في منظومة الإسلام الأخلاقية:

١. إنّ القرآن الكريم يعدّ الوفاء من خصائص المؤمنين قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.[1]

ويقول نبيّنامحمّد صلى الله عليه وآله:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد».[2]

ويقول سيّدنا علي عليه السلام:

«إنّ الوفاء بالعهد من علامات أهل الدين».[3]

ويقول أيضاً:

«أصل الدين أداء الأمانة والوفاء بالعهود».

٢. إنّ الله عزّ وجلّ مجّد الأنبياء والرسل لوفائهم بالعهد والتزامهم بالوعد فقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيا﴾.[4]

فالصفة التي ذكرها القرآن عن إسماعيل هي صدقه في الموعد وجاءت قبل ذكره بالنبوّة والرسالة.

وروى الإمام الرضا عليه السلام عن والده حكاية وقعت لنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله، إذ واعده رجل عند صخرة وحضر النبي صلى الله عليه وآله في موعده ولم يحضر الرجل وكانت الشمس ترسل أشعتها اللاهبة، فقال بعض الصحابة للنبي صلى الله عليه وآله: لو أويت إلى الظل يا رسول الله: فقال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«إنّ موعدنا هنا ولن أبرح المكان حتّى يأتي».

---

١. المؤمنون:٨.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٧/ باب٧، ح ١.

٣. المصدر: ١٧/ باب ١٤، ح ١١.

٤. مريم: ٥٤.

٣. جاء في الأثر عن أهل البيت عليهم السلام أنّ الوفاء بالوعد من حقوق المؤمنين، قال الإمام الصادق عليه السلام:

«المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدةً فيخلفه».[1]

٤. إنّ صفة الوفاء توأم الصدق وأنّها تتناقض مع الحيلة والمكر والخديعة يقول سيّدنا علي عليه السلام:

«إنّ الوفاء توأم الصدق ولا أعلم جنةً أوقى منه وما يغدر من علم كيف المرجع ولقد أصبحنا في زمان قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كيّساً ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله. قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها. وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين».[2]

ومن خلال هذا الحديث نجد أنّ ظاهرة الغدر تنتشر في المجتمعات الجاهلة، فالانسان الجاهل ينظر إلى السياسي الذي يغدر باعتباره إنساناً!

ولكن سيّدنا علي عليه السلام يعتبر هذا الإنسان في منتهى الغباء؛ لأنّ الغدر صفة منحطة يتّصف بها الإنسان الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر، وأنّ المؤمن لا يستطيع أن يغدر؛ لأنّ الغدر يتناقض مع الإيمان. ولذا نرى نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله كان يفي بعهوده للمشركين والكافرين و يحتمل ما كان منهم من الأذى و الإساءة ونقض العهود حتّى ورد الأمر الإلهي الصريح بإعلان بطلان العهود الّتي كانت بينه صلى الله عليه وآله وبينهم، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[3]

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٤/ باب١٦، ح ٧.

٢. المصدر: ٩٦/٧٥، ح ٢١.

٣. التوبة: ١.

وبعد نزول هذه الآية والآيات الّتي بعدها من سورة التوبة انتقض العهد الّذي كان بين المسلمين والمشركين، باستثناء المشركين الذين لم ينقضوا عهدهم مع المسلمين.

٥. إنّ نبيّنا محمّدﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام، كانوا يؤكّدون على صفة الوفاء ويحثون المسلمين والمؤمنين على التحلّي بها وفي نفس الوقت كانوا يحذّرون من الغدر؛ لأنّ الغادر منافق يمقته الله ويمقته المجتمع الإنساني. يقول نبيّنا محمّدﷺ:

«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أُتمن خان».[١]

وجاء في عهد سيّدنا علي عليه السلام إلى مالك الأشتر لما عيّنه حاكماً على مصر:

«إيّاك ... أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك... والخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس؛ قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أن تَقُولُوا مَالاَتَفْعَلُونَ﴾».[٢]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«عدة المؤمن أخاه نذر لا كفّارة له، فمن أخلف فبخلف الله بدأ ولمقته تعرّض، وذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ إِنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾».[٣]

فالوعد يرتفع إلى مستوى النذر، إنّك تستطيع لو نذرت إنّ تكفّر عن عدم الوفاء أمّا الوعد فهو نذر لا كفارة له.

ولهذا ينصحنا أهل البيت عليهم السلام بألاّ نعد وعداً لا نستطيع الوفاء به، يقول سيّدنا علي عليه السلام:

«لا تعد بما تعجز عن الوفاء».

ويقول أيضاً:

«لا تعدن عدة لا تثق من نفسك بإنجازها».[٤]

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٢/ باب ١٠٦، ح٦.

٢. المصدر: ٩٦/٧٥، ح ٢١؛ الآية من سورة الصف: ٢ و ٣.

٣. *الكافي*: ٣٦٢/٢، ح ١.

٤. *غرر الحكم*: ٢٥٣.

الخُلاصة

الوفاء بالعهد من الأصول الأخلاقية، وقد وصف القرآن الكريم المؤمنين بالوفاء، وعلى المسلم المؤمن أن يفي بوعده إذا وعد و عاهد، سواء كان الطرف الآخر مسلماً أو غير مسلم.

الأسئلة

١. ماذا يقول القرآن الكريم في الذين لا يفون بعهودهم؟
٢. اذكر ما جاء في عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر حول موضوع العهد.
٣. ما هي منزلة العهد في الإسلام؟
٤. ما هو الشرط في إبرام العهد مع الطرف الآخر؟

الدرس التاسع

الحلم (١)

يواجه الفرد في حياته الاجتماعية أنماطاً مختلفة من البشر ويقيم مع كثير من الناس علاقات اجتماعية دائمة. والأفراد باعتبارهم أعضاء في أُسرة واحدة هي المجتمع تشملهم هذه الظاهرة.

ولكلّ فرد شخصيته الإنسانية والاجتماعية ولكلٍّ صفاته وسلوكه، بعضهم إيجابي في تعامله وعلاقاته، وآخر سلبي في تصرّفه ومواقفه، فكيف تكون إذاً علاقاتنا مع هؤلاء الأفراد؟

ربّما يخطر في بال بعضهم أنّ أفضل وسيلة، هي أن نقطع علاقاتنا مع الذين يسيئون التصرّف ونقتصر في العلاقات الاجتماعية، مع الناس الطيبين، وفي هذه الحالة سوف نعيش في بال فارغ وراحة!

ولكن هذا السبيل ليس عملياً؛ لأنّه من المستحيل أن نجد مجتمعاً يتألف من أفراد لهم ذوق واحد وخلق واحد وسلوك واحد.

هكذا خلق الله سبحانه البشر متفاوتين في أذواقهم وأخلاقهم ومشاربهم ومن النادر جداً أن نجد اثنين، يتطابقان في طريقة تفكيرهم ورؤيتهم وأخلاقهم.

ثُمّ إنّ حاجاتنا الاجتماعية لا يمكن تأمينها في إقامة علاقات محدودة مع بعض

الناس، إضافة إلى أنّنا في حالة قطع علاقاتنا مع الآخرين، لا نضمن أيضاً تبنيهم نفس هذه الفكرة في قطع العلاقات.

ربّما يقترح أحدهم حلّاً آخر وهو الدخول في صراع مع كلّ من يسيء التصرّف، والاشتباك مع كلّ من يخرج عن الجادّة، وفي النهاية سوف يعيش أفراد المجتمع في وئام، ولكن معطيات التاريخ تفيد غير ذلك؛ لأنّ اندلاع الصراع بين أفراد المجتمع الواحد يتطوّر إلى ما لا تحمد عقباه وما أكثر الدماء التي اريقت من جرّاء المنازعات، وربّما يحسم فريق ما الصراع لصالحه، ولكن هل انتهى كلّ شيء كلاّ إنّ النار ـ كما يقال ـ تبقى تحت الرماد؛ لأنّ النزاع الاجتماعي يفرز أحقاداً متراكمة في قلب الفريق المقهور تظهر كلما سنحت الفرصة في الانتقام.. والانتقام وحش أعمى لا يعرف طريقاً.

ومن المؤكّد أنّ الحياة ستكون صعبة وشاقة جدّاً في ظلّ مجتمع يسوده النزاع وتتأجج في أعماقه الأحقاد والبغضاء.

ما هو الحل إذاً؟

يقترح الإسلام في مثل هذه الظروف حلّاً مناسباً هو: «الحلم وكظم الغيظ».

وهنا نشير إلى ثلاث نقاط:

١. الغضب والغيظ من وجهة نظر الإسلام.

٢. قيمة الحلم وكظم الغيظ في العقيدة الإسلامية.

٣. بعض أمثلة الحلم وكظم الغيظ.

البحث الأوّل: الغضب

تصوّر الروايات والأحاديث المأثورة الغضب رذيلة من الرذائل البشرية، وفيما يلي طائفة من هذه الأحاديث:

الإمام الصادقعليه السلام:

«الغضب مفتاح كلّ شرّ».[١]

الإمام عليعليه السلام:

«الغضب شرّ إنّ أطلقته دمّر».[٢]

أيضاً:

«الغضب يردي صاحبه ويبدي معايبه».[٣]

أيضاً:

«الغضب يثير كوامن الحقد».[٤]

نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله:

«الغضب جمرة من الشيطان».[٥]

الإمام عليعليه السلام:

«الغضب نارٌ موقدة من كظمه أطفأها ومن أطلقه كان أوّل محترق بها».[٦]

أيضاً:

«احذر الغضب فإنّه جند عظيم من جنود إبليس».[٧]

أيضاً:

«إيّاك والغضب فأوّله جنون وآخره ندم».[٨]

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٣/ باب ١٣٢، ح ٤.

٢. *المستدرك*: ١٢/ باب ٥٣، ح ١٣٣٧٦.

٣. غرر *الحكم*: ٣١/٢.

٤. المصدر: ١٥٥/٢.

٥. *بحار الأنوار*: ٧٣/ باب ١٣٢، ح ١٥.

٦. *المستدرك*: ١٢/ باب ٥٣، ح ١٣٣٧٦.

٧. *بحار الأنوار*: ٣٣/ باب ٢٩، ح ٧٠٧.

٨. *المستدرك*: ١٢/ باب ٥٣، ح ١٣٣٧٦.

أيضاً:

«الغضب من الجنون؛ لأنّ صاحبه يندم فإن لم يندم فجنونه مستحكم».[١]

أيضاً:

«يفسد الألباب ويبعد عن الصواب».[٢]

الإمام الصادقعليه السلام:

«من لم يملك غضبه لم يملك عقله».[٣]

وهذه الاحاديث الشريفة تصوّر لنا قوّة الغضب وسعة تدميرها إذا انفلتت عن سيطرة الإنسان.

واليك طائفة أُخرى من الأحاديث تثني على الإنسان الذي يتحكّم في غضبه ويسيطر عليه:

الإمام عليعليه السلام:

«أفضل الملك ملك الغضب».[٤]

أيضاً:

«أقدر الناس على الصواب من لم يغضب».[٥]

أيضاً:

«ظفر بالشيطان من غلب غضبه، ظفر الشيطان بمن ملكه غضبه».[٦]

أيضاً: «الغضب عدو فلا تملكه نفسك».[٧]

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٣/ باب ١٣٢، ح ٢٠.

٢. *المستدرك*: ١٢/ باب ٥٣، ح ١٣٣٧٦.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٣/ باب ١٣٢، ح ٣٣.

٤. غرر *الحكم*: ٣٠٢/٤.

٥. المصدر: ٢٤٦.

٦. المصدر: ٣٠١.

٧. *المستدرك*: ١١/١٢.

أيضاً:

«من غلب عليه غضبه وشهوته فهو في حيز البهائم».[١]

نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله:

«ليس الشديد بالصرعة إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».[٢]

أيضاً:

«الصرعة كلّ الصرعة، الصرعة كلّ الصرعة، الصرعة كلّ الصرعة: الرجل الذي يغضب، فيشتد ويحمر وجهه ويقشعر جلده فيصرع غضبه».

الإمام عليعليه السلام:

«أقوى الناس من قوى على غضبه».

الإمام الباقرعليه السلام:

«لا قوة كردّ الغضب».[٣]

وقد ورد في السيرة الشريفة: إنّ رجلاً جاء إلى النبيصلى الله عليه وآله، وقال له: عظني يا رسول الله، فقال له نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله: لا تغضب. فقال الرجل: زدني، قال رسول الله: لا تغضب. قال الرجل: زدني، فقال رسول الله: لا تغضب. وعاد الرجل إلى مضارب قبيلته فوجدها تتأهب للقتال، ولما استطلع الخبر عرف أنّ أفراداً من قبيلته أغاروا على قبيلة أُخرى ونهبوا من أموالها ونشب الصراع بين القبيلتين، ولما رأى الجرحى في قبيلته شعر بالغضب ودخل خيمته ليرتدي لامة الحرب، وفي هذه اللحظة تذكّر ما وعظه به نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله قائلاً: «لا تغضب»، فثاب إلى رشده وراح يفكّر في عاقبة ذلك، فرمى بسيفه وانطلق إلى تلك القبيلة وعرض على زعمائها، التعويض عن كلّ ما لحق بقبيلتهم من الخسائر، وقال لهم: هذه أموالي فخذوا منها ماتطيب به

---

١. غرر الحكم: ٣٦٢/٥.

٢. بحار الأنوار: ٧٧/ باب٧، ح ١.

٣. المصدر: ٧٨/ باب٢٢، ح ١.

نفوسكم ولاتسفكوا المزيد من الدماء، وتأثّر رجال القبيلة بموقفه النبيل، وقالوا له: لقد طابت نفوسنا بما قلت فانصرف راشداً، وهكذا أطفأت كلمة نبيّنا محمّدﷺ: «لا تغضب»، نيران الحرب والأحقاد.

وفي هذه الروايات التي قرأناها نجد بعدين: الأوّل: ذمّ الغضب، والثاني: تمجيد السيطرة عليه؛ غير أنّنا نجد بعداً ثالثاً في هذه الأحاديث التي تطرقت إلى الغضب من أجل الله وفي سبيله تبارك وتعالى.

يقول الإمام عليعليه السلام:

«من أحدّ سنان الغضب لله قوي على قتل أشدّاء الباطل».[١]

ويقولعليه السلام أيضاً:

«من شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة».[٢]

ويقولعليه السلام ـ وهو يودّع الصحابي الجليل أباذّر عندما نفي إلى الربذة ـ:

«يا أباذّر، إنّك غضبت لله فارج من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ماخافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه. فماأحوجهم إلى مامنعتهم وماأغناك عمّا منعوك، وستعلم من الرابح غداً والأكثر حُسّداً، ولو إنّ السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقاً، ثُمّ اتقى الله لجعل الله له منها مخرجاً. لايؤنسنك إلّا الحقّ ولا يوحشّنك إلّا الباطل؛ فلو قبلت دنياهم لأحبّوك ولو قرضت منها لأمّنوك».[٣]

وجاء في مناجاة سيّدنا موسى بن عمرانعليه السلام وهو يسأل الله عزّ وجلّ:

«من أهلك الذين تظلّهم في ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلّا ظلّك؟».

فجاء الجواب من الذات الأحدية:

---

١. المصدر: ٧١/ باب ٨٩، ح ٦.

٢. المصدر: ٣٤٨/٦٨، ح ١٧.

٣. المصدر: ٢٢/ باب ١٢، ح ٣٠.

«... والذين يغضبون لمحارمي إذا استحلّت مثل النمر إذا جُرح».[1]

من خلال ما مضى ندرك إنّ الغضب قوّة وطاقة أودعها الله عزّ وجلّ في نفوس البشر، وهذه القوة ينبغي الاستفادة منها في سبيل الله.

فعندما يقع عدوان على الدين وتُنتهك حدود الله سبحانه يُصبح الغضبُ مشروعاً ومطلوباً، فعلى المسلم أن يهبّ للدفاع وأن يشعر بالغضب المقدّس من أجل الله وفي سبيله.

ولذا نجد القرآن الكريم يطلب من نبيّنا محمّدﷺ أن يهبّ لمواجهة الكفّار والمنافقين وأن يكون معهم في غاية الشدّة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.[2]

وقد وصف القرآن الكريم المؤمنين أنّهم رحماء فيما بينهم أشدّاء على الكفّار، قال عزّ وجلّ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.[3]

---

١. المصدر: ١٣/ باب ١١، ح ٤٢.

٢. التوبة: ٧٣.

٣. الفتح: ٢٩.

الخُلاصة

إنّ إقامة العلاقات بين الأفراد من ضرورات الحياة الاجتماعية وبسبب التنوع والتضاد بين أذواق وسلوك الأفراد، يحصل الاصطدام والصراع الذي يفرز الأحقاد، يتصوّر البعض أنّ الحلّ يكمن في استخدام القوة وبعض آخر يرى الحلّ في قطع العلاقات، غير أنّ الإسلام يدعو إلى «الحلم» وكظم «الغيظ» ويعدّهما وسيلةً ناجحةً وناجعة في تنظيم العلاقات الاجتماعية.

الأسئلة

١. ما معنى الحلم؟

٢. لماذا تصوّر الأحاديث والروايات الغضب كصفة رذيلة؟

٣. أُذكر حديثاً للإمام علي في مضمار السيطرة على الغضب

٤. ماذا قال الإمام علي عليه السلام عن الغضب لدى توديعه الصحابي الجليل أبي ذرّ رضي الله عنه.

الدرس العاشر

الحلم (٢)

البحث الثاني: الحلم

الآن وقد عرفنا أنّ الغضب لا يجوز إلّا في مواجهة أعداء الله سبحانه أمّا في مقابل المؤمنين فهو جنون وحرام، فكيف نتعامل مع أخطاء وتجاوزات أصدقائنا وإخواننا؟

قد ذكرنا في الدرس الماضي أنّ الإسلام قد اقترح الحلم وكظم الغيظ أُسلوباً في العلاقات الاجتماعية؛ ذلك أنّ كثيراً من المنازعات والاختلافات بين الأفراد يمكن حلّها من خلال الحلم وممارسة ضبط النفس.

من هنا عدّت الشريعة الإسلامية الحلم من الصفات النبيلة التي ينبغي للمؤمنين أن يتحلّوا بها.

وقد حث القرآن على ضبط النفس والسيطرة عليها في حالة الغضب، قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.[1]

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.[2]

---

١. آل عمران: ١٣٤.

٢. فصلت: ٣٤ ـ ٣٥.

إنّ ثقافة الحلم تتناقض مع ثقافة الانتقام السلبية؛ ذلك أنّ الانتقام يزيد من حدّة العداء واشتعال الأحقاد فيما الحلم يجعلنا نتعامل مع الخصوم وكأنّهم أصدقاء حميمين، فالحلم نور يضيء طريق الإنسانية، والانتقام نار مجنونة تحرق المجتمعات البشرية.

لقد مجد الأئمة الأطهار عليهم السلام الحلم ودعوا المؤمنين إلى التحلّي بالحلم وضبط النفس، وفيما يلي طائفة من الأحاديث:

الإمام علي عليه السلام:

«الحلم حجاب من الآفات».[١]

أيضاً:

«الحلم نور جوهره العقل».[٢]

أيضاً:

«لا عز أرفع من الحلم».[٣]

أيضاً:

«تعلموا الحلم فإنّ الحلم خليل المؤمن ووزيره».[٤]

أيضاً:

«عليك بالحلم، فإنّه ثمرة العلم».[٥]

أيضاً:

«من حلم ساد».[٦]

---

١. *نور الحقيقة*: ٢١٣.

٢. *غرر الحكم*: ٢٨٦/٥.

٣. *بحار الأنوار*: ٧١/ باب٩٣، ح ٣٢.

٤. المصدر: ٧٨/ باب١٦، ح ١٤٠.

٥. المصدر: ٧١/ باب٩٣، ح ٣٥.

٦. المصدر: ٧٧/ باب٨، ح ١.

أيضاً:

«السلم ثمرة الحلم».[١]

أيضاً:

«إنّ أوّل عوض الحليم من خصلته أنّ الناس أعوانه على الجاهل».[٢]

أيضاً:

«من استعان بالحلم عليك غلبك وتفضل عليك».[٣]

ويقول الإمام محمدالجواد عليه السلام:

«الحلم لباس العالم فلا تعرينّ منه».[٤]

ولأنّ الحلم يعني فيما يعني ضبط النفس وكظم الغيظ، فقد جاء في الأحاديث تأكيد على ذلك.

قال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«من كظم غيظاً ملأ الله جوفه إيماناً».[٥]

ويقول الإمام علي عليه السلام: «من كف غضبه ستر الله عورته».[٦]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة».[٧]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

---

١. *غرر الحكم*: ٢٢٧/١.
٢. *بحار الأنوار*: ٧١/ باب ٩٣، ح ٦٨.
٣. *غرر الحكم*: ٤٥١/٥.
٤. *بحار الأنوار*: ٧٨/ باب ٣، ح ٢.
٥. المصدر: ٦٩/ باب ٣٨، ح ٤٤.
٦. المصدر: ٧٣/ باب ١٣٢، ح ١١.
٧. المصدر: ٧/ باب ١٥، ح ٦٢.

«من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه وحلم عنه أعطاه الله أجر شهيد».[1]

ويقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«أحزم الناس أكظمهم للغيظ».[2]

ونجد من خلال هذه الأحاديث الشريفة أنّ ضبط النفس والسيطرة عليها إنّما ينطلق من نور الإيمان الذي يضيء للإنسان طريقه فيعرف موقفه الصحيح.

فالحلم يستر عيوب الإنسان؛ لأنّ فورة الغضب تكشف للناس كثيراً من العيوب.

ويرتفع الحلم بالإنسان إلى مصاف الشهداء؛ لأنّ الإنسان عندما يقاوم نوازعه النفسية وينتصر عليها يكون قد حقّق إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، والإنسان الحليم إنسان يتّصف بالحزم والحزم من صفات القادة وذوي الشخصيات القوية.

ولهذا يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«إنّ أحزم الناس أكظمهم للغيظ»

وقد سئل الإمام الحسن السبط عليه السلام عن الحلم فقال:

«كظم الغيظ وملك النفس».[3]

ويقول الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام:

«إنّه ليعجبني الرجل إنّ يدركه حلمه عند غضبه».[4]

وتساءل أحدهم في حضرة الإمام الصادق عليه السلام: أليس في ترك الخصومة ذلاًّ؟ فقال الإمام عليه السلام:

«إنّما الذليل الظالم».[5]

---

١. المصدر: ٧٥/ باب ٦٦، ح ١٠.

٢. المصدر: ٧١/ باب ٩٣، ح ٥٥.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٨/ باب ١٩، ح ٢.

٤. المصدر: ٧١/ باب ٩٣، ح ١٣.

٥. *المحجة البيضاء*: ٣١٣/٥.

ربّما يجادلك شخص في مسألة ما وأنت على حقّ في رأيك، ولكن محاورك يتعصّب لرأيه ويجادل. إنّ آداب الشريعة الإسلامية تحثك على ترك الجدل؛ لأنّه لا طائل من ورائه وقديؤدي إلى الشحناء وليس في موقفك هذا ذلاً؛ لأنّ الحقيقة كالشمس لا تبقى خلف الغيوم إلى الأبد وسوف ينتبه صديقك أو زميلك إلى خطئه ذات يوم.

وهذا من مظاهر حلم الإنسان يحافظ به على علاقاته مع أفرادالمجتمع

البحث الثالث: بعض أمثلة الحلم وكظم الغيظ

وفي هذا البحث نستعرض بعض أمثلة الحلم وكظم الغيظ فنستلهم من ذلك الدروس والعبر.

١. كانت نار الحرب بين قبيلتي الأوس والخزرج مشتعلة في الجاهلية ثُمّ هدى الله عزّ وجلّ هاتيين القبيلتين إلى نور الإسلام وانطفأت تلك النار المجنونة، وأصبح الجميع إخوة متحابيّن. وحلّت الأُخوة الإسلامية محلّ العداوة الجاهلية، فكانوا يجلسون معاً ويتحدّثون بحبّ وإخاء، ورآهم ذات يوم يهودي يدعى «شاس بن قيس» فحسدهم على ذلك وبرقت عيناه بالخسّة والنذالة، فأراد أن يشعل الحرب بينهما ويؤجج نار الحقد، فأرسل إلى محافلهم رجلاً خبيثاً وأمره أن ينشد بينهم شعراً قديماً.

ذهب الرجل اليهودي وجلس بينهم وراح ينشد شعراً من الأوس وشعراً من الخزرج، وكان هذا الشعر يتحدّث عن معاركهم في يوم بغاث وشيئاً فشيئاً اشتعلت الأحقاد القديمة وتأججت الحمية الجاهلية وتنادوا للسلاح والسيوف، وانتشرت الحرب بين رجال القبيلتين انتشار النار في الهشيم.

وعندما سمع نبيّنا محمّدﷺ بذلك هبّ من فوره وانطلق إلى محلّ الفتنة ونادى بأعلى صوته:

«يا معشر المسلمين، الله الله أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم وبعد أن هداكم الله تعالى إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر، وألّف بين قلوبكم[1]؟!

وثاب المسلمون إلى رشدهم وأدركوا أنّهم قد ارتكبوا خطأً فادحاً فاظهروا الندم وجددوا ميثاق الأُخوة الإسلامية، وهكذا أطفأ نورالإسلام نيران الجاهلية وانطفأت نار الحرب التي كاد يشعلها ذلك اليهودي الخبيث.

٢. جاء في السيرة أنّ إعرابياً دخل المسجد وعرض على رسول الله ﷺ حاجته فأعطاه النبي ﷺ ما تيسّر، ولكن الأعرابي استقل المال وأغلظ للنبي في الكلام. وتبادر أصحاب النبي لتأديب الأعرابي فنهاهم نبيّنا محمّد ﷺ.

فرأى النبي ﷺ الأعرابي خارج المسجد فدعاه إلى منزله وأعطاه مبلغاً آخر، ولمّا خرج الأعرابي من بيت النبي أدرك أنّه لا يختلف عن بيوت الفقراء، فشعر بالحزن لمّا بدر منه وأظهر الندم والتوبة وشكر النبي ﷺ على ما نقده إيّاه.

فقال النبي ﷺ: أخشى عليك الآذى ممّن سمع مقالتك لي في المسجد فلو أظهرت رضاك.

وهز الأعرابي رأسه موافقاً، وفي اليوم التالي حضر المسجد، فقال النبي ﷺ لما رآه: إنّ هذا الرجل قد رضي عنّي، وصدّق الأعرابي ما قاله النبي ﷺ قائلاً: بلى، ثُمّ غادر المسجد.

فقال النبي ﷺ يعلّم أصحابه: إنّما مثلي ومثل هذا؛ رجلٌ فرّ جَمَلُه وأراد الناس الإمساك به فانطلقوا يركضون وراءه وكان الجمل كلما سمع أصواتهم يزداد فراراً، فقال الرجل لهم: كفوا عنه لأرى فيه رأيي، فأخذ الرجل علفاً ورمى به إليه، فعاد الجمل يأكل منه، وأمسك الرجل به. وإنّي لو تركتم بالأمس وشأنكم فربّما قتلتموه فانظروا ما فعل اللين به.

---

١. *السيرة النبوية*، ابن هشام: ٣٩٧/٢، بتصرّف.

٣. جاء رجل شامي إلى المدينة المنوّرة ولما رأى الإمام الحسن سبط النبي صلى الله عليه وآله وعرفه راح يكيل له الشتائم والإمام ساكت لا يرد عليه، ولما فرغ الرجل من السبّ قال له الإمام بودّ وابتسام:

«أيّها الشيخ، أظنّك غريباً؟ ولعلّ شبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك»[1]

وظلّ الإمام يلاطفه بناعم القول إلى إنّ قلع من أعماق الرجل روح الشرّ والحقد وظهرت على وجهه ملامح الندم فراح يعتذر للإمام ثُمّ قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

إنّ الإمام لم يكظم غيظه فحسب، بل قابل الإساءة بالإحسان وعرض على الرجل الشامي روحه الإنسانية واستعداده لأي خدمة يطلبها وبهذا الأُسلوب الأخلاقي الرفيع ينتصر الخير على الشرّ، والفضيلة على الرذيلة، والعلم على الجهل، والإسلام على الجاهلية.

---

١. *مناقب آل أبي طالب*، ابن شهر آشوب: ١٨٤/٣.

الخُلاصة

إنّ أولياء الله كانوا أمثلة رفيعة في تعزيز العلاقات الاجتماعية، فبالحلم وكظم الغيظ وضبط النفس ومقابلة الإساءة والإحسان ضربوا المثل الأعلى في الأخلاق الرفيعة. أنّ الحلم له رسالة إنسانية واجتماعية كبرى في الحياة.

الأسئلة

١. بيّن آثار الحلم في الحياة الاجتماعية.

٢. لماذا يؤكّد الإمام علي عليه السلام على تعلم الحلم؟

٣. بيّن العلاقة بين الحلم وكظم الغيظ.

٤. اذكر مثالاً من السيرة والتاريخ الإسلامي عن الحلم.

الدرس الحادي عشر

العفو والصفح

تعلمنا من الدرسين الماضيين أنّ الإسلام يطرح أدب الحلم في مواجهة إساءات الآخرين من أجل تعزيز العلاقات الاجتماعية وعندما تحدّثنا عن الحلم تحدّثنا أيضاً عن كظم الغيظ وضبط النفس، وفي هذا الدرس سنجد أنّ الحلم يقترن أيضاً بالعفو والتسامح والصفح.

تعدّ صفة العفو من الخصال والأصول الأخلاقية والآداب الإسلامية التي تؤكّد عليها الشريعة في مجال العلاقات الاجتماعية.

وكما ذكرنا في الدرس الماضي أنّ العدوان وانتهاك حقوق الآخرين من الظواهر الاجتماعية، ومن الممكن إنّ تضيع بعض الحقوق خاصّة في تفاصيل الحياة اليومية، فالضوضاء ـ مثلاً ـ التي تصدر من جهاز صوتي أو اغتصاب الدور في طوابير الانتظار، فإذا كان التعنت والإصرار ـ في هذه المواقف ـ هو شعار الجميع في استرداد حقوقهم، فإنّنا سنشهد سلسلة طويلة من النزاعات والخصومات، بحيث تصبح الحياة اليومية مريرة لا تطاق، ولذا جاءت الشريعة بحلّ أخلاقي نبيل فحثت المؤمنين على الحلم وممارسة ضبط النفس والعفو والتسامح.

وقد أوحى القرآن الكريم بذلك في قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.[١]

إنّ العفو يجب أن يكون ملكة في شخصيتنا، لا أن يكون حالة مؤقتة وعابرة. ولذا جاء في تفسير الآية الآنفة الذكر ما يلي:

«سأل رسول الله ﷺ جبرائيل عن ذلك، فقال: لا أدرى حتّى أسأل العالم. ثُمّ أتاه فقال: يا محمّد، إنّ الله يأمرك أن تعفو عمّن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك».[٢]

وقد وصف الله عزّ وجلّ المؤمنين بهذه الخصلة: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.[٣]

ولهذا نجد القرآن الكريم يحث على العفو قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[٤] وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[٥]

كما نجد نبيّنا محمّد ﷺ والأئمة الأطهار من آله ﷺ يحثون المؤمنين على التحلّي بهذه الصفة الحميدة، يقول النبي ﷺ:

«إنّ الله عفوّ يحبّ العفوّ».[٦]

ويقول ﷺ: «من أقال مسلماً عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة».[٧]

---

١. الأعراف: ١٩٩.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٥/ باب ٦٦، ح ٤.

٣. آل عمران: ١٣٤.

٤. النور: ٢٢.

٥. التغابن: ١٤.

٦. *كنز العمال*: ٣٧٣/٣، ح ٧٠٠٥.

٧. المصدر: ٣٧٦/٣، ح ٧٠١٩.

ويقول ﷺ أيضاً: «عليكم بالعفو فإنّ العفو لا يزيد العبد إلاّ عزّاً فتعافوا يعزّكم الله».[١]

وعنه ﷺ أيضاً: «من كثر عفوه مُدّ في عمره».[٢]

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «العفو تاج المكارم».[٣]

وعنه عليه السلام أيضاً: «شيئان لا يوزن ثوابهما: العفو والعدل».[٤]

وعنه عليه السلام أيضاً: «شرّ الناس من لا يعفو عن الزلة ولا يستر العورة».[٥]

وعنه عليه السلام أيضاً: «قلّة العفو أقبح العيوب، والتسرع إلى الانتقام أعظم الذنوب».[٦]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة».

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّا أهل البيت عليهم السلام مروّتنا العفو عمّن ظلمنا».

ويقول عليه السلام أيضاً: «ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمن ظلمك، وتَصلُ من قطعك، وتَحلم إذا جُهل عليك».[٧]

الفرق بين العفو والصفح

تبدو مفردة الصفح مرادفة للعفو فكلاهما تعبير عن موقف واحد وهو عدم مقابلة الإساءة بمثلها، وعدم ترتيب عقاب على ذنب أو اعتداء، غير أنّ الصفح يتّسع لما هو أبعد من العفو، فإذا كان العفو يعني ضمناً ثبوت الخطأ ومن ثَمّ العفو إلّا أنّ الصفح يعني الإعراض عن الذنب والخطأ نفسه وكأنّ شيئاً لم يكن.

---

١. *بحار الأنوار*: ٧١/ باب ٩٣، ح ٥.

٢. المصدر: ٧٥/ باب ٨١، ٧٤.

٣. *غرر الحكم*: ٢٤٥.

٤. المصدر: ٤٤٦.

٥. *بحار الأنوار*: ٧١/ باب ٩٣، ح ٦.

٦. *غرر الحكم*: ٤٦٥.

٧. *بحار الأنوار*: ٧١/ باب ٩٤، ح ٣.

يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَزاءُ سَيِّئَة سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.[١]

ويقول في مضمار الصفح: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلام﴾.[٢]

ويقول أيضاً: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيل﴾.[٣]

فالآية الأُولى ثبتت الخطأ وحددت العقوبة أيضاً، ثُمّ دعت إلى العفو مقابل الأجر الإلهي، فيما دعت الآيتان الثانية والثالثة النبيﷺإلى غض النظر عن نفس الخطأ، وقد جاء في تفسير الآية: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيل﴾ عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «العفو من غير عتاب».[٤]

العفو عند المقدرة

إنّ معنى العفو لا يتحقّق إلّا عند المقدرة، ولهذا ينتفي معنى العفو في حالة العجز عن الردّ والمقابلة بالمثل، بل قد يؤدّي العجز أحياناً إلى شعور بالحقد والكراهية وإطلاق الاتهامات أو الحسد والكذب ...إلخ.

وعندما دعت الشريعة الإسلامية إلى العفو؛ فذلك لأنّ المجتمع والدولة الإسلامية قد تكفلت بإجراء العدالة وإنزال العقوبة بالطرف المعتدي.

من هنا نجد في الروايات الإسلامية والأحاديث الشريفة اقتراناً بين العفو والقدرة، يقول نبيّنا محمّدﷺ: «من عفا عند قدرة عفا الله عنه يوم العثرة».[٥]

---

١. الشورى: ٤٠.

٢. الزخرف: ٨٩

٣. الحجر: ٨٥

٤. *بحار الأنوار*: ٧١/ باب٩٣، ح ٥٦.

٥. *كنز العمال*: ٣/٣٧٧.

ويقول ﷺ: «أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة».[١]

ويقول سيّدنا علي عليه السلام: «اذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه».[٢]

وعنه عليه السلام أيضاً: «العفو زكاة القدرة».[٣]

ويقول الإمام الحسن السبط عليه السلام: «إنّ أعفى الناس من عفا عندقدرته».[٤]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «العفو عند القدرة من سنن المرسلين والمتقين».[٥]

وفي فتح مكّة عندما دخل الجيش الإسلامي فاتحاً كانت الراية في يد الصحابي «سعد بن عبادة» فأطلق صيحاته المدوّية: «اليوم يوم الملحمة اليوم تُستحل الحرمة».[٦]

وعندما سمع نبيّنا محمّد ﷺ بذلك أمر علياً عليه السلام أن يسرع إليه ويأخذ الراية منه ويتدارك الأمر، وانطلق الإمام مسرعاً وأخذ الراية من سعد وراح يهتف عالياً: «بل اليوم يوم المرحمة».

وقد جسد الإسلام كلّ معاني العفو فقد كان بإمكان الجيش الإسلامي الانتقام وتدمير بيوت مكّة، ولكن نبيّنا محمّد ﷺ بالرغم من كلّ الأذى الذي لحق به، وبالرغم من كلّ الحروب والمؤامرات عفا عن جميع أعدائه، فكان يوم الفتح يوماً مشهوداً في تاريخ الإنسانية.

مواضع العفو

أين يتجسد معنى العفو؟ وفي أي الموارد يجوز ذلك؟

---

١. *بحار الأنوار*: ٦٨/ ٤٢٠.

٢. المصدر: ٧١/ باب ٩٣، ح ٧٦.

٣. غرر *الحكم*: ٣٤٢.

٤. بحار الأنوار: ٧٤/ باب ٢٨، ح ٤١.

٥. *المصدر*: ٧١/ باب ٩٣، ح ٦٢.

٦. شرح *نهج البلاغة*: ٢٧٢/١٧.

وفي الجواب عن ذلك يمكن القول: إنّ العفو محبب في كلّ ما يتعلّق بالشؤون الذاتية أمّا في ما يتعلّق بالحقوق العامّة والإلهية فلا.

إنّ من ينتهك حرمة المجتمع لا يمكن إنّ يكون محلّاً للعفو، ومن ضيع حقوق الله أو انتهك حدوده كذلك.

وجاء في تاريخ الإسلام: إنّ الإمام عليعليه‌السلام بعث إلى أحد ولاته وعماله ـ وكان قد اختلس من بيت المال ـ رسالة شديدة اللهجة جاء فيها:

«فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم فإنّك إن لم تفعل ثُمّ امكنني الله منك لأعذرنّ إلى الله فيك ولأضربنّك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلّا دخل النار. والله، لو أنّ الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا منّي بإرادة حتّى آخذ الحقّ منهما وازيح الباطل عن مظلمتهما».[١]

وعندما نطالع سيرة الأولياء نجدهم في ذروة العفو والصفح والتسامح في ما يتعلّق بحقوقهم وشؤونهم الذاتية والفردية أمّا في الحقوق الإلهية والاجتماعية فهم في غاية الشدّة والحزم.

إنّ العفو أُسلوب أخلاقي من أجل اشعار الطرف الآخر بخطئه ودفعه إلى عدم تكرار هذا الخطأ، ولذا نجد بعض الناس يعتذر عمّا بدر منه، فالعفو يجدي مع الإنسان الكريم، أمّا الإنسان اللئيم فلا ينفع معه العفو، بل إنّه يستغل ذلك ويزداد وقاحة.

يقول الإمام عليعليه‌السلام: «العفو يفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم».[٢]

ويقول الإمام زين العابدينعليه‌السلام:

حق من ساءك إنّ تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو يضرُّ انتصرت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾.[٣]

---

١. *نهج البلاغة*: الكتاب ٤١.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٧، باب١٥، ح ٤.

٣. المصدر: ح ١، ٩/٧١؛ الشورى: ٤١.

الخُلاصة

العفو والصفح، من الأُصول الأخلاقية في الإسلام والحياة الاجتماعية. ومعناه لا يتحقّق إلّا في حالة القدرة على الرد والمقابلة بالمثل وإجراء العقوبة. وقد حببت الشريعة العفو في المسائل والقضايا الفردية، أمّا في التعدّي على الحقوق الإلهية والاجتماعية فلا يجوز.

الأسئلة

١. بيّن الفرق بين العفو والصفح.
٢. اذكر نص الرسالة التي بعث بها الإمام عليعليه السلام إلى الوالي المختلس.
٣. لماذا ينفع العفو مع الكريم ولا يجدي مع اللئيم؟
٤. اذكر حديث الإمام الصادقعليه السلام في مكارم الدنيا والآخرة.

الدرس الثاني عشر

الإنصاف

الانصاف والعدل من الأصول الأخلاقية في الإسلام. والانصاف في العلاقات الاجتماعية هو أن يكون الحقّ والعدل نصب أعيننا، أي أن نقول حقّاً ونفعل حقّاً، حتّى لو كان علينا. وأن نحبّ لغيرنا ما نحبّ لأنفسنا. والإنصاف والعدل يقتضي وجود أصول ثابتة في الحياة الاجتماعية تسري قوانينها على الجميع. والعدل والإنصاف يعني تطبيق وإجراء القانون.

إنّ حقوق الأفراد وواجباتهم موزعة بشكل يحقّق العدالة. والإخلال بهذا التوزيع يعني عدم الإنصاف. ومشكلة البشر أنّهم يتحدّثون عن الحقّ كثيراً، ولكن عندما يكون الحقّ في جهة ومنافعهم الذاتية في جهة أُخرى فإنّهم يختارون منفعتهم الخاصّة، وقد يقدم بعضهم على تغيير القانون نفسه ليصب في مصلحته الشخصية.

يقول الإمام علي عليه السلام:

فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف.[1]

فعندما نتحدّث عن الحقّ نتحدّث كثيراً ونطنب وقد نحلّق في سماء الفكر، ولكن عندما يلزمنا الحقّ بأداء حقوق الآخرين والقيام بواجبنا إزاءهم، فإنّنا نقع في حرج شديد!

---

١. *نهج البلاغة*: الخطبة ٢١٦.

ومسألة العدل والإنصاف في القول والفعل مسألة حساسة جداً، وعلينا أن نكون منصفين في منطقنا ومواقفنا.

قال الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.[1]

وقال تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ أن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى إنْ تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُو أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾.[2]

ووفقاً لهذه الآية الكريمة يأتي موقف الإنسان المؤمن وهو موقف لا يأخذ بنظر الاعتبار شيئاً إلاّ الحقّ والقسط والإنصاف.

هناك ميزان ثابت وهو الحقّ، هذا الميزان لا يخضع لمؤثرات خارجية مثلاً لا يتأثّر بالعلاقات ولا يتأثّر بالعواطف ولا يتأثّر أيضاً بالأطماع.

يعني أنّ الإنسان يحكم بالحقّ حتّى جاء حكمه ضد أخيه وأُمه وأبيه، ويحكم بالحقّ حتّى لو كان المحكوم إنساناً فقيراً يثير الشفقة ولا نحكم بالحقّ لغني أو ثري جمعاً بما عنده.

إنّ ميزان الحقّ هو ميزان العدالة والإنصاف وفيه مكيال واحد للجميع، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْم عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا إعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إنّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.[3]

إنّ ميزان العدالة لا يتأثّر أيضاً بطبيعة علاقاتنا مع الآخرين، فربّما يقوم الآخرون

---

١. الأنعام: ١٥٢.

٢. النساء: ١٣٥.

٣. المائدة: ٨.

بعمل قبيح ولا نرتاح لما يعملون، ولكن ينبغي علينا إلّا نتصرّف معهم إلّا بما يقتضيه العدل والإنصاف.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة عن النبي صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام تمجيد لقيمة العدل والإنصاف، يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«أعدل الناس من رضي للناس ما يرضى لنفسه وكره لهم ما يكره لنفسه».[1]

ويقول صلى الله عليه وآله:

«من واسى الفقير وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقّاً».[2]

ويقول سيدنا علي عليه السلام:

«من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلّا عزة».[3]

ويقول عليه السلام في وصيته لابنه الحسن السبط عليه السلام:

«يا بني اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فاحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب إنّ تُظلم، وأحسن كما تحبّ أن يحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وقل ما تعلم ولا تقل ما لا تحبّ أن يقال لك».[4]

ونجد في هذا النص من الوصية برنامجاً دقيقاً للإنصاف وهو جعل النفس والذات ميزاناً، وهو أن نحبّ لغيرنا ما نحبّ لأنفسنا، ونكره للغير ما نكره لذاتنا فلا نظلم أحداً، لأنّنا لا نحبّ أن نُظلم، وهذا هو معنى ما ورد في كثير من الروايات والأحاديث حول «إنصاف الناس من النفس».

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٥/ باب ٣٥، ح ١.

٢. المصدر: ٧٥/ باب ٣٥، ح ٥.

٣. المصدر: ٧٥/ باب ٣٥، ح ٢٥.

٤. المصدر: ٧٥، ب ٣٥، ح ٢١.

يقول عليه السلام أيضاً في عهده إلى مالك الأشتر:

«انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصّة أهلك ومن لك فيه هوىً من رعيتك؛ فإنّك إلّا تفعل تظلم ومن ظلمَ عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجّته وكان لله حرباً حتّى ينزع ويتوب».[١]

وهذه طائفة من كلمات الإمام عليه السلام القصار في الإنصاف:

١. الإنصاف يستديم المحبّة.[٢]

٢. الإنصاف يألف القلوب.[٣]

٣. الإنصاف يرفع الخلاف ويوجب الائتلاف.[٤]

ملاحظة أخلاقية

نستنتج من مجموع الأحاديث أنّ الإنصاف والعدل في العلاقات الاجتماعية يعني مساواة الذات مع الغير في كلّ الحقوق الاجتماعية، فالمجتمع الإسلامي الذي ينهض على المساواة في الحقوق والواجبات يكون مجتمعاً مستقرّاً متضامناً متكافلاً تشيع في جنباته المحبّة والمودّة والصداقة.

ومن هنا ينبغي أن ندرك أنّ إنصاف الناس من النفس أمر صعب؛ لأنّه يتضاد مع «حبّ الذات» وهو أيضاً متجذّر في النفس الانسانية. ولذا يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ألا أُخبركم بأشدّ ما افترض الله على خلقه، إنصاف الناس من أنفسهم».[٥]

---

١. المصدر: ٣٣/ باب ٣٠، ح ٧٤٤.

٢. *غرر الحكم*: ٣٩٤.

٣. المصدر: ٣٩٤.

٤. المصدر.

٥. *بحار الأنوار*: ٢٧/٧٢.

وجاء في تاريخ الإمام الصادقعليه السلام أنّ أحد أصحابه بعث اليه برسالة يسأله فيها عن أشياء فأجابه عنها ما خلا شيئاً واحداً يتعلّق بحقوق المؤمنين، ولمّا رام السفر من المدينة المنورة وجاء يودع الإمام، وقال له: يا سيّدي لم تجب سؤالي؟ فقال الإمام الصادقعليه السلام ما مضمونه: اخشى إنّ قلت لم تعمل فتخرج من الدين، ثُمّ قال: إنّ أشدّ ما فرض الله على عبده ثلاث: إنصاف الناس من نفسك فتفعل مع أخيك المسلم ما تحبّ أن يفعل بك، وأن تواسي إخوانك بما لك، والثالثة ذكر الله على كلّ حال وليس الذكر قولك: سبحان الله والحمد لله، ولكن إن عرض لك أمر حرام جعلت الله نصب عينك.

فالإنصاف من أشدّ الفرائض التي أوجبها الله عزّ وجلّ على عباده.

ولذا يتعين على الإنسان المسلم أن يجاهد نفسه ويروضها حتّى يرى الحقّ نصب عينه دائماً وأبداً فلا يقول إلاّ حقاً ولا يفعل إلّا حقّاً، وحتّى يحبّ للناس ما يحبّ لنفسه ويكره لهم ما يكره لذاته ويتمنى لهم الخير كما يتمناه لنفسه.

الخُلاصة

الإنصاف يعني مساواة "الغير" مع"الذات" في كلّ الحقوق الاجتماعية والالتزام بالعدل والإنصاف، و في هذا ما يعزّ من استقرار وأمن المجتمع ويزيد في تضامن أفراده وتكافلهم ويشيع في المجتمع روح المحبّة والصداقة.

والإنصاف ـ كما تبيّن الأحاديث الشريفة ـ من أصعب الواجبات الإلهية وأشدّها.

الأسئلة

١. لماذا لا يجوز أخذ حالات مثل الفقر، والغنى، والقربى والخصومة في حالة الشهادة بنظر الاعتبار؟

٢. ما هو المعيار الذي حدّده الإمام علي عليه السلام للإنصاف في وصيته لابنه الحسن السبط عليه السلام؟

٣. بيّن بعض آثار وثمار الإنصاف.

٤. لماذا تعدّ مساواة الذات مع الغير عملاً أخلاقياً صعباً؟

الدرس الثالث عشر

البشاشة والمزاح

البشر والبشاشة من آداب الإسلام في العلاقات الاجتماعية، ومن مظاهر حسن السلوك في الحياة الإنسانية، فالبشاشة من أخلاق الأنبياء والأولياء، ولذا جاء عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله قوله: «إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر».[1]

وهذه الكلمات المضيئة تبين لنا حقيقة هامّة؛ فإذا كان هدفنا اكتساب مودّة الجميع فلا نملك وسيلة عملية سوى الأخلاق، وأقلّ شيء يمكن فعله هو مقابلة الناس بوجه تشيع فيه البشاشة وتشرق فيه الابتسامة.

ولذا على الإنسان المؤمن أن يخفي حزنه في قلبه ويقابل من يلقاه بوجه طلق.

يقول سيّدنا علي عليه السلام: «المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه».[2]

من هنا ينبغي للمؤمن أن يلقى أصدقاءه وأخوانه وجيرانه بوجه باسم؛ فإذا كان يعاني من مشكلة ما أو يشعر بالحزن لسبب من الأسباب، فينبغي عليه أن يجعل ذلك في قلبه؛ لأنّ انعكاس الحزن والكآبة في الوجه ستكون له آثار سلبية على الآخرين. فإذا سمحنا للحزن أن

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٤/ باب ٣٨، ح ٣٦.

٢. *المصدر*: ٦٧، باب ١٤، ح ٣٧.

ينشر ظلاله القاتمة على الوجه، فإنّ المجتمع شيئاً فشيئاً سيصاب بحالة من الكآبة، غير أنّ المجتمع الإسلامي ينبغي أن يكون مجتمعاً سعيداً يزخر بالحيوية والنشاط.

آثار وثُمّار البشاشة

للبشاشة والبِشر وطلاقة الوجه آثار طيبة في الحياة الفردية والاجتماعية، وقد ورد في الأحاديث الشريفة عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله، وآله الأطهار عليهم السلام من الفوائد الكثير.

يقول النبي صلى الله عليه وآله:

«حسن البشر يذهب بالسخيمة».[1] يعني أنّ البشاشة تكافح الأحقاد وتغسل القلوب منها.

وقال الإمام علي عليه السلام:

«البشاشة حبالة المودّة».[2] والحبالة هنا: من الحبل أي الآصرة والعلاقة.

وقال عليه السلام:

«البشاشة أحد القرابتين».[3]

وقال أيضاً:

«القهم بالبشر تمت اضغانهم».[4]

وأيضاً:

«إذا لقيتم أخوانكم فتصافحوا وأظهروا لهم البشاشة والبِشر تتفرقوا وما عليكم من الأوزار قد ذهب».[5]

وقال عليه السلام في حديث آخر:

«إنّ أحسن ما يؤلّف به الناس قلوب أودائهم وينفوا به الضغن عن قلوب

---

١. المصدر: ٧٤/ باب ١٠، ح ٤١.

٢. المصدر: ٧٥/ باب ٥٩، ح ١٢.

٣. المصدر: ٧٥/ باب ٥٩، ح ٩.

٤. المصدر: ٧٥/ باب ٥٩، ح ٢١.

٥. المصدر: ٧٥/ باب ٥٩، ح ١٩.

أعدائهم حسن البشر عند لقائهم، والتفقد في غيبتهم والبشاشة بهم عند حضورهم».[١]

ويقول أيضاً:

«بشرك يدلّ على كرم نفسك».[٢]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«البشر الحسن وطلاقة الوجه مكسبة للمحبّة وقربة من الله عزّ وجلّ، وعبوس الوجه وسوء البشر مكسبة للمقت وبعد من الله».[٣]

وهذه الأحاديث تؤكّد على دور البشاشة وطلاقة الوجه في تعزيز العلاقات الاجتماعية بين الأفراد؛ ولأنّ المسلم لا يحصر اهتمامه في الدنيا فقط فقد أشارت أحاديث أُخَر إلى آثار البشاشة في الآخرة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«ثلاث من أتى بواحدة منهنّ أوجب الله له الجنة: الانفاق من اقتار، والبشر لجميع العالم، والإنصاف من نفسه».[٤]

المزاح

عندما يأتي الحديث عن البشاشة والتبسم يتداعى إلى الأذهان المزاح والدعابة.

عندما نريد أن نعرف موقف الشريعة الإسلامية من المزاح، فإنّنا نتقصى ذلك في الأحاديث الشريفة، وعندما نطالع الأحاديث الواردة في ذلك نجد طائفتين: إحداهما تحبب المزاح، والأُخرى تذمّه وتنهى عنه.

---

١. المصدر: ٧/ باب٨ ح ٨٣

٢. *غرر الحكم*: ٤٣٤

٣. *بحار الأنوار*: ٧٥/ باب٨ ح ٨٣

٤. المصدر: ٧٤/ باب ١٠، ح ٢٨.

الطائفة الأُولى

١. قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«المؤمن دعب لعب والمنافق قطب غضب».[١]

٢. و عنه أيضاً:

«إنّي لأمزح ولا أقول إلاّ حقّاً».[٢]

٣. قال الإمام الباقر عليه السلام:

«إنّ الله يحبّ المداعب في الجماعة بلا رفث».[٣]

٤. قال الإمام الصادق عليه السلام:

«ما من مؤمن إلّا وفيه دعابة، قيل: وما الدعابة؟ قال عليه السلام: المزاح».[٤]

٥. روى يونس الشيباني وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قال:

«قال لي أبو عبدالله (الصادق) عليه السلام: كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليل، قال: «فلا تفعلوا فإنّ المداعبة من حسن الخلق، وإنّك لتدخل بها السرور على أخيك، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يداعب الرجل يريد إنّ يسرّه».[٥]

الطائفة الثانية

١. عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«يا علي، لا تمزح فيذهب بهاؤك ولا تكذب فيذهب نورك».[٦]

٢. عن الإمام علي عليه السلام:

---

١. المصدر: ٧٧/ باب٧، ح ١.

٢. المصدر: ١٦/ باب ١٠، ح ٢.

٣. المصدر: ٧١/ ب ٨٠، ح ١٨.

٤. المصدر: ٧٦/ باب١٠٦، ح ١٣.

٥. المصدر: ١٦/ باب ١٠، ح ٢.

٦. المصدر: ٧٧/ باب٣، ح ١٠.

«لا يبلغ العبد صريح الإيمان حتّى يدع المزاح والكذب، ويدع المراء وإن كان محقّاً».

٣. «المزاح يورث الضغائن».[١]

٤. «لكلّ شيء بذر وبذر العداوة المزاح».[٢]

٥. «آفة الهيبة المزاح».[٣]

٦. «من مزح استخف به».[٤]

٧. الإمام الصادق عليه السلام: «لا تمازح فيجرّأ عليك».[٥]

٨ «إيّاكم والمزاح، فإنّه يذهب بماء الوجه ومهابة الرجال».[٦]

٩. «إيّاك والمزاح فإنّه يذهب بالبهاء».[٧]

من هاتين الطائفتين نكتشف أنّ الإسلام لا يقف موقفاً حدّياً من مسألة المزاح، ويعدّها مسألة نسبية مشروطة؛ ذلك أنّ الإسلام لا يرتضي للمؤمن الهزل في كلّ حياته. والمطلوب من المسلم أن يكون جادّاً في سيره نحو الكمال، والهزل والمزاح باستمرار يتنافى مع الهدف المنشود، كما أنّ الهزل والمزاح يؤديان إلى ايذاء الآخرين وزرع الحقد في نفوسهم.

وبما أنّ الإسلام يهدف إلى إشاعة المودّة والسرور بين أفراد المجتمع وبعث روح النشاط، فقد حبب للمؤمنين البشاشة والمزاح بشرط ألّا يخرج المزاح عن دائرة الحقّ وألّا تستخدم فيه كلمات بذيئة تخدش الذوق الأخلاقي.

من هنا يمكن تشبيه المزاح بملح الطعام، فالمطلوب منه ما يجعل الطعام شهياً.

---

١. *المصدر*: ٧٧/ باب٣، ح ١٠.

٢. غرر *الحكم*: ٤٣٦.

٣. المصدر: ٢٢٢.

٤. *بحار الأنوار*: ٧٧/٢٣٧.

٥. المصدر: ٧٦، باب١٠٦، ح ١٠.

٦. *وسائل الشيعة*: ١٢/١١٨.

٧. *بحار الأنوار*: ٧٣/٦٠.

الطائفة الثالثة

وعندما نطالع الطائفة الثالثة من الأحاديث ندرك أنّ المذموم من المزاح هو كثرته فقط:

١. قال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله: «كثرة المزاح تذهب بماء الوجه».[١]

٢. قال علي عليه السلام:

«كثرة المزاح تسقط الهيبة».[٢]

٣. قال علي عليه السلام:

«كثرة المزاح تذهب البهاء وتوجب الشحناء».[٣]

٤. قال علي عليه السلام:

«من كثر مزاحه قل وقاره».[٤]

من هنا نعرف أنّ الذمّ ينصب على الإفراط في المزاح؛ ذلك أنّ الإفراط يؤدّي إلى فقدان الهيبة والوقار والاحترام في حياة الفرد، كما أنّه يزرع الأحقاد في نفوس الآخرين ويحطم أواصر المحبّة والصداقة بين الأفراد.

وعندما نطالع سيرة النبي صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام نجد أمثلة رفيعة من المزاح البريء الذي يدخل البهجة في النفوس ويشيع البسمة في الوجوه:

جاءت امرأة عجوز من الأنصار وطلبت من النبي أن يدعو لها بالجنّة، فقال صلى الله عليه وآله: «إنّ الجنّة لايدخلها العجوز»،فبكت، فضحك النبي صلى الله عليه وآله، وقال: أما سمعت المرأة تلا النبي صلى الله عليه وآله قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾.[٥]

---

١. *الكافي*: ٦٦٥/٢.

٢. غرر *الحكم*: ٥٩١/٤.

٣. *المصدر*: ٥٩٧/٤.

٤. المصدر: ٢٩٣/٥.

٥. جامع أحاديث الشيعة:٥٤٧/١٥؛ الواقعة: ٣٥ ـ ٣٦.

وابتسمت المرأة بعد أن ادركت أنّ نساء الجنّة يبعثهن الله عزّ وجلّ في سن الشباب.

وجاءت امرأة يقال لها أُم أيمن إلى النبي صلى الله عليه وآله وقالت: إنّ بعلي يبلغك السلام، فقال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله: بعلك الذي في عينه بياض. وتصوّرت الصحابية أنّ النبي يعني ذلك المرض، فقالت: ليس في عينه بياض، فقال النبي: بلى، في عينه بياض فقالت: لا، والله ليس في عينه بياض. فقال النبي متبسماً: ومن لا يوجد في عينه بياض الحدقة؟!

وابتسمت أُم أيمن لهذه الدعابة.

وكان رجل من البادية يأتي إلى النبي صلى الله عليه وآله حاملاً له هدية فلا يقوم منه حتّى يطلب منه ثُمّن الهدية، فيبتسم النبي صلى الله عليه وآله ويضحك من حضر، ولذا كان النبي صلى الله عليه وآله اذا ما شعر بالحزن قال: ليت ذلك الإعرابي يأتي![1]

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله يطلب منه بعيراً يحمله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ليس عندنا إلاّ ولد ناقة فقال الرجل إنّ متاعي ثقيل لا ينهض به ابن بعير، فقال النبي ـ وهو يبتسم ـ: أوليس كلّ بعير ابن بعير؟!

فضحك الرجل لهذه الدعابة.

وكان النبي صلى الله عليه وآله يتناول التمر ذات يوم مع الإمام علي عليه السلام، فيضع النوى، في جهة عليّ عليه السلام، فلما اجتمع من النوى قال لعلي: ما أشدّ أكلك للتمر والتفت علي فرأى النوى في جهته وليس في جهة النبي نواة واحدة فابتسم، وقال: أشدّ منّي أكلاً من يأكل التمر ونواه!

وأشرقت ابتسامة في وجه النبي صلى الله عليه وآله

وأنت ترى في هذه الحكايات مزاحاً بريئاً نظيفاً لا كذب فيه و لا لغو، نتعلم منها كيف نداعب أُخواننا ونشيع في نفوسهم روح البهجة والسرور فتزداد أواصرنا قوّة.

---

١. هذه الروايات وأشباهها تجدها في *ميزان الحكمة*: ٢٨٩٦/٤، وغيره.

الخُلاصة

البشاشة من الآداب الإسلام. وهذه الصفة تنم عن كرم النفس وحسن السلوك. ولها دور كبير في تعزيز أواصر المحبّة بين أفراد المجتمع. والمزاح من مصاديق البشاشة، بشرط ألاّ يكون هناك إفراط فيه وإلاّ يخدش الذوق الأخلاقي.

الأسئلة

١. ما هي الآثار الاجتماعية للبشاشة كما بيّنها الأئمة الأطهار عليهم السلام؟
٢. متى يكون المزاح مطلوباً؟
٣. اذكر حديثاً للإمام علي عليه السلام حول البشاشة.
٤. ما هي آثار وثمار البشاشة في الآخرة؟

الدرس الرابع عشر

المؤاساة وقضاء الحوائج

ذكرنا في الدرس الثاني أنّ المؤمنين أُخوة، والأُخوّة تقتضي التضامن والتعاون، وهم أعضاء في أسرة واحدة هي المجتمع الإسلامي، ومن آداب الأُخوّة أن يهب الأخ لنجدة أخيه إذا واجه مشكلة أو وقع في مأزق، وما أجمل هذه الصورة التي يرسمها الحديث النبوي المشهور: «إنّما المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بمنزلة الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».[1]

ولأنّ الفرد في حياته يواجه بعض المصاعب والمشكلات، فإنّه إذا ما رأى إخوة له يتضامنون معه ويقفون إلى جانبه، فسوف يشعر بالدفء والأمل ويسقف بدوره إلى جانب إخوته إذا احتاجوا إلى عونه ومساعدته، وبهذا تشيع روح المحبّة والتآزر بين أفراد المجتمع. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا على البِرِّ وَالتَّقْوَى﴾.[2]

ومسألة التعاون تقتضي وجود روح الاهتمام في نفس الفرد المسلم بمواطنيه

---

1. *بحار الأنوار*: ٧٤/ ٢٣٤.
2. المائدة: ٢.

وأُخوانه، ومن هنا قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «من أصبح لا يهتم بأُمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم».[١]

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

ما آمن بالله ولا بمحمّد ولا بعلي عليهما السلام من إذا أتاه أخوه المؤمن في حاجة فلم يضحك في وجهه، فإن كانت حاجته عنده سارع إلى قضائها، وإن لم تكن عنده تكلّف من عند غيره حتّى يقضيها له، فإذا كان بخلاف ما وصفته، فلا ولاية بيننا وبينه.[٢]

إنّ التضامن وتقديم العون للمؤمنين واجب إسلامي، وأنّ الإنسان إذا ما رزق مالاً، ثُمّ تنكّر لأُخوانه وبخل بماله، فلم يقض للمحتاج منهم حاجة ولم يهب لمساعدة من يطلب عونه ومساعدته انتفت عنه هوية المسلم؛ لأنه من آداب الإسلام روح التعاون، وقد جاء في حديث للإمام الباقر عليه السلام: «من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام له في حاجته ابتلى بمعونة من يأثُمّ عليه ولا يؤجر».[٣]

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «أيّما رجل من شيعتنا أتى رجلاً من إخوانه فاستعان به في حاجته فلم يعنه وهو يقدر إلّا ابتلاه الله بأنّ يقضي حوائج غيره من أعدائنا يعذّبه الله عليها يوم القيامة».[٤]

وقال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يُجره بعد إنّ يقدر عليه، فقد قطع ولاية الله تبارك وتعالى».[٥]

وجاء في حديث للإمام الصادق عليه السلام ما يجعل التقصير في ذلك خيانة يقول عليه السلام:

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٤/ باب ٢٠، ح ١٢٠.

٢. المستدرك: ١٢/ ٤٣٤، ح١٤٥٤٦.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٥/ باب ٥٩، ح ٨

٤. المصدر: ٧٥/ باب ٥٩، ح ٢١.

٥. المصدر: ٧٥/ باب ٥٩، ح ٢١.

«أيّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً ممّا يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره، أقامه الله يومِ القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه مغلولة يداه إلى عنقه، فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله، ثُمّ يؤمر به إلى النار».[١]

وتشير هذه الرواية إلى أنّ الاستطاعة لا تنحصر ذاتياً، وأنّما تمتد لتشمل إمكانية قضاء حاجة المؤمن بالاستعانة بالغير أفراداً أو مؤسسات.

وروي عن الواقدي (العالم الإسلامي): كان لي صديقان أحدهما هاشمي، فكنّا روحاً واحدة في ثلاثة أبدان، واحتجت في أحد الأعوامِ وقد اقترب يومِ العيد، فقالت زوجتي: أنا وأنت نصبر على ذلك، ولكن أبناءنا إذا رأوا أبناء الجيران وقد ارتدوا الثياب والحلل الجديدة وهم في ثياب خلقة انكسرت قلوبهم، فاقترض لنا بعض المال نشتري لهم ثياباً جديدة للعيد.

فكتبت إلى صديقي الهاشمي رسالة أن يرسل لي مبلغاً من المال، فأرسل صديقي صرّةً مشدودة وكتب لي أنّ فيها ألف درهم، فلما هممت بفتحها إذا طارق يطرق الباب ويسلّمني رسالة من صديقي الآخر يطلب منّي مبلغاً من المال، فأعطيته صرّة الدراهم وانطلقت إلى المسجد حياءً من زوجتي. فلقيت صديقي الهاشمي في المسجد وفي يده الصرّة.

فقال لي: ماذا فعلت بالمال الذي أرسلته إليك؟

فقصصت عليه الخبر، فقال لي: أتعلم أنّ المال الذي أرسلته إليك هو كلّ ما كنت أملك، فلما بعثتُ به إليك كتبت رسالة إلى صديقنا وأخبرته بحاجتي، ولكنّه لم يكن يملك شيئاً، فكتب إليك رسالة يطلب منك مالاً، وما فعلته أنّك أرسلت إليه بصرّة الدراهم هذه، فأرسلها إلي فعادت كما ترى إلى صاحبها، والآن مادامِ الأمر كذلك نقتسم المبلغ ثلاثتنا معاً فكلنا محتاج إليه.

---

١. *المصدر*: ٧/ باب٨ ح ٨٣

فانظر ما تفعل رابطة الصداقة من إيثار ومؤاساة. يقول الإمام علي عليه السلام: «لا يكون الصديق صديقاً حتّى يحفظ أخاه في ثلاث: «في نكبته، وغيبته، ووفاته».[١]

أي أنّ الصديق يهب لنجدة صديقه في النكبات ويرعى أُسرته في غياب صديقه، فإذا توفي كان في طليعة من يحضر لأداء حقّ الصداقة والقيام بما عليه الواجب في مثل هذه المناسبات.

يقول القرآن الكريم يصف المؤمنين: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.[٢] فترى أحدهم يؤثر أخاه المؤمن بالشيء الذي هو في أمس الحاجة إليه، ويجد في ذلك لذة العمل الصالح، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ الرجل ليسألني الحاجة فأُبادر بقضائها مخافة أن يستغني عنها فلا يجد لها موقعاً إذا جاءته».[٣]

إنّ التعاون وقضاء حوائج المؤمنين له دور في تعزيز العلاقات الاجتماعية، وإضافة إلى ذلك فإنّ لهذا الأدب والخلق الإسلامي والإنساني الرفيع آثار أُخروية كبرى، يقول الإمام علي عليه السلام:

«مؤاساة الأخ في الله عزّ وجلّ تزيد في الرزق».[٤]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«تقرّبوا إلى الله بمواساة إخوانكم».[٥]

وعنه عليه السلام أيضاً:

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٤/ باب ١٠، ح ٢٨.

٢. الحشر: ٩.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٤/ باب ٢٨، ح ٢٢.

٤. المصدر: ٧٤/ باب ٢٨، ح ٢٢.

٥. المصدر: ٧٤/ باب ٢٨، ح ٥.

«من قضى لأخيه المؤمن حاجةً قضى الله عزّ وجلّ له يوم القيامة مئة ألف حاجة من ذلك أوّلها الجنة ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنة بعد إلّا يكونوا نصّاباً».[١]

وعنه عليه السلام أيضاً:

«ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلاّ ناداه الله تبارك وتعالى: عليّ ثوابك ولا أرضى لك بدون الجنة».[٢]

ويصل شأن هذا الأدب الكريم والخلق الرفيع منزلة العبادة، إذ يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«والله لقضاء حاجة المؤمن خير من صيام شهر واعتكافه».[٣]

يروي أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قائلاً:

«خرجت ذات سنة حاجّاً، فانصرفت إلى أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام فقال: من أين أتيت؟ فقلت: جعلت فداك كنت حاجّاً. فقال: أوتدري ما للحاجّ من الثواب؟ فقلت: ما أدري حتّى تعلمني، فقال: إنّ العبد إذا طاف بهذا البيت أُسبوعاً[٤] وصلّى ركعتيه، وسعى بين الصفا والمروة، كتب الله له ستّة آلاف حسنة، وحط عنه ستّة آلاف سيئة ورفع له ستّة آلاف درجة، وقضى له ستّة آلاف حاجة للدنيا كذا وادخر للآخرة كذا، فقلت له: جعلت فداك إنّ هذا لكثير، فقال: أفلا أُخبرك بما هو أكثر من ذلك؟ قلت: بلى، فقال عليه السلام: لقضاء حاجة امرئ مؤمن أفضل من حجّة وحجّة وحجّة حتّى عدّ عشر حجج».[٥]

وهذه أمثلة ممّا ورد عن أهل البيت عليهم السلام في شأن قضاء حوائج المؤمنين ومؤاساتهم.

---

١. المصدر: ٧٤/ باب ٢٠، ح ٩٠.

٢. المصدر: ٧٤/ باب ٢٠، ح ٨.

٣. المصدر: ٧٤/ باب ٢٠، ح ٦.

٤. المراد سبع مرّات وليس سبعة أيّام.

٥. *بحار الأنوار*: ٧٤/ باب ٢٠، ح ٤.

الخُلاصة

إنّ أفراد المجتمع الإسلامي من حيث العلاقات الوطيدة كأعضاء الجسد الواحد؛ فالتضامن والمؤاساة وقضاء حوائج المؤمنين من آدابهم وأخلاقهم. وفي هذا أجر إلهي كبير، كما أنّ التقصير في ذلك يوجب غضب الله سبحانه وسخطه.

الأسئلة

١. لماذا عدّ النبيﷺ الاهتمام بشؤون المسلمين معياراً لإسلامية الفرد المسلم؟
٢. كيف يصف القرآن علاقة المؤمنين بعضاً ببعض؟ اذكر الآية.
٣. اذكر أمثلة من آثار قضاء حوائج المؤمنين، كما ورد في الأحاديث الشريفة.
٤. اذكر حديث الإمام الصادقعليه السلام بشأن قضاء حاجة المؤمن.

الدرس الخامس عشر

إشاعة السرور والإصلاح بين المؤمنين

بيّنّا في الدرس الماضي أنّ قضاء حوائج الناس والاهتمام بمشكلاتهم في طليعة الآداب التي أكّد عليها الإسلام وحث المؤمنين على التحلّي بها. وفي هذا الدرس نبين خصلة أُخرى هي الإصلاح بين المؤمنين وإدخال السرور على قلوبهم.

سئل نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

أي الأعمال أحبّ إلى الله؟ قال صلى الله عليه وآله: «اتّباع سرور المؤمن. فقيل: يا رسول الله وما اتّباع سرور المؤمن؟ قال صلى الله عليه وآله: «شبعة جوعه وتنفيس كربه وقضاء دينه».[1]

وقال الإمام علي عليه السلام مخاطباً صاحبه كميل بن زياد:

«يا كميل، مر أهلك إنّ يروحوا في كسب المكارم ويداجّوا في حاجة من هو نائم، فوالذي وسع سمعه الأصوات، ما من أحد أودع قلباً سروراً إلّا وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتّى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل».[2]

وعن الإمام الباقر عليه السلام:

---

١. المصدر: ٧٤/ باب ٢٠، ح ٢.

٢. المصدر: ٧٤/ باب ٢٠، ح ٨٢.

«تبسّم الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرفه القذى عنه حسنة، وما عبد الله بشيء أحبّ إلى الله من إدخال السرور على المؤمن».[١]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«لا يرى أحدكم اذا أدخل على مؤمن سروراً أنّه عليه أدخله فقط، بل والله علينا بل والله على رسول الله».[٢]

ويقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«من سرّ مؤمناً فقد سرّني ومن سرّني فقد سرّ الله».[٣]

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«أوحى الله عزّ وجلّ إلى داوود عليه السلام: إنّ العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأُبيحه جنتي، فقال داوود عليه السلام: يا ربّ وما تلك الحسنة؟ قال يدخل على عبدي المؤمن سروراً ولو بتمرة. فقال داوود عليه السلام: حقّ لمن عرفك إلّا يقطع رجاءه منك».[٤]

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها، وفرّج عنه كربته لم يزل في ظلّ الله الممدود عليه الرحمة ما كان في ذلك».[٥]

من مجموع هذه الأحاديث الشريفة نخرج بنتيجة ناصعة وهي أنّ إدخال السرور والبهجة والفرح على قلب المسلم جزء لا ينفك من آداب الإسلام وتعاليم الشريعة السمحاء. وتتعدد وسائل إدخال الفرح في قلوب المسلمين، ربّما يصادف المرء إنساناً جائعاً فيشبعه، أو مكروباً فيكشف عن وجهه الكرب، أو مديناً فيقضي عنه الدين، بل إنّ مجرّد الابتسامة التي تعبّر عن المحبّة والاحترام تدخل الفرح في القلوب.

---

١. المصدر: ٧٤/ باب ٢٠، ح ١٥.

٢. المصدر: ٧٤/ باب ٢٠، ح ١٩.

٣. المصدر: ٧٤/ باب ٢٠، ح ١٤.

٤. *بحار الأنوار*: ١٤/ باب ٣، ح ٥.

٥. المصدر: ٧٤/ باب ٢٠، ح ٣٤.

ويتحوّل هذا الخلق الكريم في نفس الإنسان إلى حالة من الطمأنينة والشعور بالسلام، وهذه من هبات الخالق عزّ وجلّ يمنحها عبده الذي يدخل الفرح في قلوب الناس الطيبين.

إنّنا عندما ندخل الفرحة على المؤمنين نكون قد أدخلنا الفرح على أهل البيت عليهم السلام وعلى نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله، فننال رضا الله عزّ وجلّ.

الإصلاح بين المؤمنين

إنّ السعي في إصلاح ذات البين وإعادة علاقات المحبّة بين المؤمنين من الواجبات الاجتماعية في الإسلام.

وقد حذرت الشريعة الإسلامية من قطع العلاقات الأخوية بين المؤمنين، كما وأشارت الأحاديث الشريفة عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إلى دور الشيطان في ذلك، ولذا فإنّ الاستمرار في القطيعة والإصرار عليها له عواقب وخيمة في حياة الإنسان المسلم.

يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«أيّما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلاّ كانا خارجين من الإسلام، ولم يكن بينهما ولاية فأيّهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنّة يوم الحساب».[1]

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«لا يفترق رجلان على الهجران إلاّ استوجب أحدهما البراءة واللعنة، وربّما استحقّ ذلك كلاهما».[2]

وتعتبر أدبيات الإسلام الحالات العدائية بين المسلمين من عمل الشيطان، يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾.[3]

---

١. المصدر: ٧٥، باب ٦٠، ح ٥.

٢. المصدر: ٧٥، باب ٦٠، ح ١.

٣. المائدة: ٩١.

ويوضح الأئمة من أهل البيتعليهم السلام هذا الدور الشيطاني الخبيث، كما نجد في حديث الإمام الباقرعليه السلام:

«إنّ الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهم عن دينه، فإذا فعلوا ذلك استلقا على قفاه وتمدد، ثُمّ قال: فزت. فرحم الله امرأ ألّف بين وليّين لنا، يا معشر المؤمنين تألّفوا وتعاطفوا».[١]

وعن الإمام الصادقعليه السلام:

«لا يزال إبليس فرحاً ما اهتجر المسلمان، فإذا التقيا اصطكّت ركبتاه وتخلعت أوصاله، ونادى ياويله مالقي من الثبور».[٢]

إنّ العلاقات بين المؤمنين علاقات أخوية تنهض على المحبّة والمودّة، وأنّ كلّ ما يسيء إلى هذه العلاقات ويؤدّي إلى قطعها هو عمل شيطاني، ومن هنا يحث القرآن على الاصلاح وإعادة ما انقطع من روابط الأخوة. يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.[٣] ويقول في موضع آخر: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾.[٤]

وقد وعد الله عزّ وجلّ من يقوم بعمل الإصلاح بين الناس بالأجر والثواب، قال تعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.[٥]

ويقول نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله:

«ألا أُخبرك وأدلك على صدقة يحبّها الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تفاسدوا و تباعدوا».[٦]

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٥/ باب ٦٠، ح ٦.

٢. المصدر: ٧٥/ باب ٦٠، ح ٧.

٣. الحجرات: ١٠.

٤. الأنفال: ١.

٥. النساء: ١١٤.

٦. *كنز العمال*: ٣/ ٥٩، ح ٥٤٨٨.

وعن الإمام الصادقعليه السلام:

«صدقة يحبّها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقاربٌ بينهم إذا تباعدوا».[١]

وجاء في وصية الإمام عليعليه السلام لابنيه الحسن والحسينعليهما السلام:

«اوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي: بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم، فإنّي سمعت جدّكما رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام».[٢]

وهكذا نجد لهذا الأدب الإسلامي الرفيع شأناً ومنزلة كبيرة ترتفع به إلى مستوى الصدقة التي يحبّها الله عزّ وجلّ ورسولهصلى الله عليه وآله، بل إنّ النبيصلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام.[٣]

ونجد في سيرة أهل البيتعليهم السلام هذا الاهتمام من خلال ما يلي:

١. إنّ الإمام الصادقعليه السلام خصص جزءاً من أمواله للإفادة منه في مهمّة الإصلاح وفض النزاعات بين المسلمين.

ويقول المفضل ـ وهو من أصحاب الإمامعليه السلام ـ:

قال أبو عبد الله الصادقعليه السلام: «إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي».[٤]

يروي أبوحنيفة وكان يعمل سائقاً في قوافل الحجّ: «مرّ بنا المفضل وأنا وختني نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة، ثُمّ قال لنا: تعالوا إلى المنزل، فأتيناه فأصلح بيننا بأربعمئة درهم فدفعها إلينا من عنده حتّى إذا استوثق كلّ واحد منّا من صاحبه قال: أما أنّها ليست من مالي، ولكنّ أبوعبد الله أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وافتديهما من ماله، فهذا من مال أبي عبد الله».[٥]

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٦/ باب ١٠١، ح ٦.

٢. المصدر: ٤٢/ باب ١٢٧، ح ٥١.

٣. المصدر: ٧٢/ ٢٤.

٤. *بحار الأنوار*: ٧٦/ باب ١٠١، ح ٨.

٥. المصدر: ٧٦/ باب ١٠١، ح ٩.

٢. نعلم جميعاً أنّ الكذب من أقبح الخصال ومن أسوأ الذنوب، وقد ندد القرآن الكريم بالكذابين، ولكن عندما يكون وسيلة لإصلاح ما فسد من العلاقات بين المؤمنين، فإنّه يدخل دائرة أُخرى وفي ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ المصلح ليس بكذاب»[1] وجاء في سيرته عليه السلام عن أحد أصحابه قال: قال ليّ أبو عبد الله عليه السلام: أبلغ عنّي كذا وكذا في أشياء أمر بها، قلت: فابلغهم عنك وأقول عنّي ما قلت لي وغير الذي قلت؟ قال: نعم، إنّ المصلح ليس بكذاب، إنّما هو الصلح ليس بكذب».[2]

فالرجل هنا توسل بالكذب ووضع أحاديث على لسان طرفي النزاع، تؤدّي إلى التفاهم والإصلاح وعودة العلاقات الأخوية.

و هكذا نجد أنّ الإصلاح بين المؤمنين يشغل أهمّية كبيرة في الآداب الإسلامية.

---

١. المصدر: ج٧٣/٤٨.

٢. المصدر: ٧٦/ باب ١٠١، ح ١٢.

الخُلاصة

إدخال السرور في قلوب الناس من الآداب الاجتماعية في الإسلام، ولهذا الخلق الكريم آثاره وثُمّاره الإيجابية في الدنيا والآخرة، كما أنّ الإصلاح بين المؤمنين وإعادة العلاقات الأخوية هو الآخر من الواجبات الاجتماعية في الشريعة الإسلامية، وقد حث على ذلك نبيّنا محمّدﷺوالأئمة الأطهار عليهم السلام، بما يجعل من هذا العمل أهمّية بالغة في حياة الفرد والمجتمع.

الأسئلة

١. ماهو أحبّ الأعمال إلى الله عزّ وجلّ؟ اذكر نص الحديث النبوي الشريف.
٢. هل ينحصر إدخال السرور في قلب المؤمن بالمساعدات المالية؟ بين ذلك.
٣. لماذا يصاب الشيطان بالهلع عند الإصلاح بين المؤمنين؟
٤. لماذا خصص الإمام الصادق عليه السلام قسماً من أمواله في مهمّات الإصلاح؟
٥. لماذا يجوز الكذب بهدف إعادة العلاقات الأخوية بين المؤمنين؟

الدرس السادس عشر

إكرام اليتامى ورعاية البائسين

الإسلام هو ينبوع الرحمة والعاطفة الإنسانية والحنان، فلا غرو أن نجد ديننا الحنيف يهتّم بالأطفال اليتامى ويحنو عليهم ويسعى في توفير الدفء لقلوبهم الصغيرة، ومن هنا نجد القرآن الكريم يحض المؤمنين على النهوض بهذه المسؤولية الاجتماعية والإنسانية.

قال عزّ وجلّ يذكر نبيّه بنعمة الحنان التي وفرها له بعد أن توفّي والده: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾[1] ثُمّ يوصيه سبحانه قائلاً: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾.[2]

ولقد ذاق نبيّنا محمّدﷺ مرارة اليتم إذ فقد والده وهو ما يزال جنيناً في بطن أمه، ثُمّ فقد والدته بعد سنوات قليلة، ولكن الله عزّ وجلّ هيّأ له من يؤويه وهو جدّه عبدالمطلب، ثُمّ عمّه أبو طالب، ولهذا فإنّهﷺ طالما يؤكّد على إكرام اليتامى فيقولﷺ: «أحبّ البيوت إلى الله تعالى بيت فيه يتيم مكرّم»،[3] ويقولﷺ: «كن لليتيم كالأب الرحيم واعلم أنّك تزرع كذلك تحصد».[4]

---

١. الضحى:٦.

٢. الضحى:٩.

٣. الجعفريات: ١٦٧.

٤. *بحار الأنوار*: ٧٧/ باب ١٨، ح ٢٣.

ويقول ﷺ أيضاً:

«إنّ في الجنّة داراً يقال لها: دار الفرح لا يدخلها إلاّ من فرّح يتامى المؤمنين».[١]

وعنه ﷺ قال:

«من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهراً سيفه في سبيل الله، وكنت أنا وهو في الجنّة أخوين، كما أنّ هاتين أُختين (وألصق السبابة والوسطى)».[٢]

ولأهمّية رعاية الأيتام وإكرامهم جعلت الشريعة الإنفاق عليهم من موارد صرف الزكاة، كما أنّ الإنفاق عليهم أيضاً من الطرق التي تقرب الإنسان إلى الله زلفى، قال تعالى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى... ﴾.[٣]

وقصّة تصدّق أهل البيت عليهم السلام بطعامهم ثلاثة أيّام على التوالي مشهورة حتّى نزل في حقّهم من القرآن قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً﴾.[٤]

إذاً من الواجبات الاجتماعية في الإسلام هو تفقد اليتامى والإنفاق عليهم وتأمين حياة كريمة لهم، ولا يعني ذلك الاقتصار على الجانب المالي؛ لأنّ اليتيم لا ينشد ذلك فقط، وإنّما يرنو إلى من يمنحه الشعور بالدفء والحنان الذي فقده.

وقد نهى القرآن الكريم عن قهر اليتيم، إذ يقول تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ﴾ كما بين القرآن العاقبة الوخيمة للمجتمع الذي يقهر اليتيم ولا يوفر له الدفء والحنان: ﴿كَلاَّ بَلْ لاَتُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلاَتَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.[٥]

---

١. *كنز العمال*: ٣/١٧٠، ح ٦٠٠٨.

٢. *سنن ابن ماجه*: ٢/١٢١٣، ح ٣٦٨٠.

٣. البقرة: ١٧٧.

٤. الدهر: ٨، ٩.

٥. الفجر: ١٧، ١٨.

ونلاحظ في الآية أنّ مسألة الإكرام تتعدى سدّ العوز المالي إلى ما هو أبعد، فقد يوجد يتيم لا يعاني من العوز والفاقة، لكنّه يبحث عمّن يشعره بالحنان والدفء. فإكرام اليتيم يعني احترام شخصيته وإنسانيته والتعامل معه بشكل إيجابي.

أمّا الحض على إطعام المساكين فقد جاء بعد إكرام اليتامى، والحض الاجتماعي لتوفير لقمة العيش للمساكين، ربّما يأتي من خلال التناصح بين الأفراد أو من خلال المؤسّسات الاجتماعية الخيرية التي يرفدها أفراد المجتمع بالدعم المالي والعون الاقتصادي.

إنّ طرد الأيتام وحرمان المساكين الطعام يعني تكذيباً بالرسالات الإلهية، قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَالِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.[1]

ومن هنا نجد في الأحاديث الشريفة تأكيداً على الجانب العاطفي، يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«من وضع يده على رأس يتيم ترحماً كان له بكلّ شعرة تمرّ يده عليها حسنة».[2]

ويروي أحد الصحابة أنّ صبياً جاء النبي صلى الله عليه وآله ونحن جلوس، فقال:

إنّي يتيم ولي أُخت يتيمة وقد ترمّلت أُمنا، فأطعمنا بما أطعمك الله وأعطنا يعطيك الله حتّى ترضى فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أحسن ما تكلمت به يا فتى، ثُمّ قال لبلال: انطلق وهات ما عندنا من الطعام. فانطلق بلال وجاء يحمل إحدى وعشرين تمرة، فأعطى النبي صلى الله عليه وآله التمر للصبي وقال: سبع تمرات لك وسبع لأُختك وسبع لأُمك. وقام الصحابي معاذ بن جبل فمسح على رأس الصبي، وقال: جبر الله يتمك

---

١. الماعون: ١ ـ ٣.

٢. *كنز العمال*: ١٧٧/٣.

وجعلك خلف خير لأبيك، فقال النبيﷺ: ما أردت بذلك؟ فقال معاذ: أردت أن أعطف عليه، فقال النبيﷺ: «لايلي أحد منكم يتيماً فيُحسن ولايته ووضع يده على رأسه إلّا كتب الله له بكلّ شعرة حسنة ومحا عنه بكلّ شعرة سيئة ورفع له بكلّ شعرة درجة».

وجاء عن النبيﷺ أنّه قال:

«إنّ اليتيم إذا بكى اهتز له العرش فيقول الربّ تبارك وتعالى: من هذا الذي أبكى عبدي الذي سلبته أبويه في صغره فبعزتي وجلالي لا يسكته أحد إلاّ أوجبت له الجنّة».[1]

وشكى أحدهم للنبيﷺ قسوة قلبه فقالﷺ:

«أتحبّ أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه واطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك».

والآن لنتأمّل في هذا المنال الأخلاقي الذي جسّده الإمام عليعليه السلام سيرته، يقول التاريخ: رأى الإمام عليعليه السلام ـ وكان آنذاك خليفة ـ امرأة تحمل على كتفها قربة ماء فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها، وسألها عن حالها فقالت: بعث علي بن أبي طالب صاحبي إلى بعض الثغور فقتل هناك وترك عليّ صبياناً يتامى وليس عندي شيء وقد ألجأتني الحاجة إلى خدمة الناس. فتألم الإمامعليه السلام وانصرف وبات ليلته تلك قلقاً، فلما طلع الصبح حمل زنبيلاً فيه طعام، فقال بعضهم: أعطني احمله عنك، فقال الإمامعليه السلام: من يحمل وزري عنّي يوم القيامة؟ فأتى إلى منزل المرأة وطرق الباب فنادت: من الطارق؟ قال: أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة، فافتحي فإنّ معي شيئاً للصبيان، فقالت: رضى الله عنك وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب، فدخل وقال: إنّي أحببت اكتساب الثواب، فاختاري بين أن تعجنين وتخبزين وبين أن تعلّلين الصبيان لأخبز أنا، فقالت: أنا بالخبز أبصر وعليه

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٥/ باب ٣١، ح ١٢.

أقدر، ولكن شأنك والصبيان، فعللهم حتّى أفرغ من الخبز، فعمدت المرأة إلى الدقيق فعجنته وعمد عليعليه السلام إلى اللحم فطبخه، وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له: يا بني اجعل علي بن أبي طالب في حل في ما أُمّر من أمرك، فلما اختمر العجين، قالت: يا عبد الله اسجر التنور فبادر لسجره، فلما أشعله ولفح في وجهه جعل يقول: ذق يا علي هذا جزاء من ضيع الأرامل واليتامى، فرأته امرأة تعرفه، فقالت لصاحبة الدار: ويحك هذا أميرالمؤمنين، فبادرت المرأة وهي تقول: واحيائي منك يا أميرالمؤمنين فقال: بل واحيائي منك يا أمة الله فيما قصرت في أمرك، ثُمّ انصرف وقد شبع الأطفال أمّا هو فكان يذرف الدموع في الطريق.[1]

وللبائسين المحرومين حقوق على الأثرياء والأغنياء، وأنّ المجتمع الاسلامي الذي تربط بين أفراده آصرة الأخوة مجتمع متضامن ومتكافل، فالغني يأخذ بيد الفقير والثري يساعد أخاه المحتاج. ومن موارد صرف الزكاة هو تقديم العون للمساكين والمحرومين، يقول الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[2] ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.[3]

ومن خلال هذه الآيات الكريمة نعرف أنّ مساعدة المساكين والمحتاجين وتقديم العون للبائسين والمحرومين من الواجبات الاجتماعية في الإسلام.

وعلينا أن نعلم أنّ ما نقوم به تجاههم ليس تفضلاً وإنّما هو أداء للواجب الإسلامي

---

١. المصدر: ٥/٤١، باب ١٠٤.

٢. الذاريات: ١٩.

٣. المعارج: ٢٤، ٢٥.

والشرعي، أنّ الله عزّ وجلّ جعل في أموال الأغنياء حقوقاً للفقراء وعلى الأغنياء أن يؤدوها لهم دون منٍّ، أنّ كلّ من يتصدّق من فضل ماله، ثُمّ يعدّ ذلك منه منّة وفضلاً فقد بطل عمله؛ ذلك أنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾.[١]

---

١. البقرة: ٢٦٤.

الخُلاصة

يعدّ إكرامِ اليتيم وتقديم العون للمسكين من مصاديق إدخال السرور ومن الآداب الاجتماعية في الإسلام.

إنّ إكرامِ اليتيم وتأمين حاجاته المادية والعاطفية واجب اجتماعي يتعين على المسلمين القيامِ به.

إنّ ما نقومِ به من واجب إزاء اليتامى والمساكين هو جزء من حقوقهم ولا يجوز أن نتبع ذلك بالمنّ وإشعارهم بالتفضل.

الأسئلة

١. اذكر إحدى وصايا نبيّنا محمّدﷺ باليتامى.

٢. بين بإيجاز حجم الثواب الذي ينتظر من يكرمِ اليتامى ويرعاهم؟

٣. كيف يمكن تأمين حاجات اليتامى؟

٤. بماذا وعد الله عزّ وجلّ من يدخل البهجة والفرح في قلوب اليتامى؟

٥. بيّن الفرق بين حاجات اليتامى والمساكين.

٦. لماذا يبطل المنّ الصدقة؟

الدرس السابع عشر

عيادة المريض

عيادة المرضى من مصاديق إدخال السرور على قلوب المؤمنين، وهي من آداب الإسلام الاجتماعية، وأنّ عيادة المرضى من الأصدقاء والأقرباء والمعارف أمر ضروري في تعزيز العلاقات بين الأفراد.

فما هي العيادة وما آدابها وكيف ينظر الإسلام إليها؟

١. العيادة

يعدّ الدين الإسلامي الحنيف العيادة واجباً اجتماعيّاً يؤدّيه المسلم تجاه أخيه في العقيدة، وللمسلم المريض حقّ في زيارة إخوانه وتفقدهم إيّاه.

قال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«من حقّ المسلم على المسلم إذا لقيه أن يسلّم عليه، وإذا مرض أن يعوده، وإذا مات أن يشيع جنازته».[١]

ويروي الإمام علي عليه السلام عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله قوله:

«للمسلم على أخيه ثلاثون حقّاً لا براءة له منها إلّا بالأداء أو العفو... يعود مرضته».[٢]

---

١. *مكارم الأخلاق*: ٣٥٩.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٤/ باب ١٥، ح ٣٦.

وسأل المعلّى بن خنيس الإمام الصادقعليه السلام: ما حقّ المسلم على المسلم؟ قالعليه السلام:

«سبع حقوق واجبات ما منهنّ حقّ إلاّ وهو عليه واجب، إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب. قلت له: جعلت فداك وما هي؟ قال: يا معلّى إنّي عليك شفيق أخاف أن تضيّع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل. قال، قلت له: لا قوة إلاّ بالله. قالعليه السلام: «أيسر حقّ منها إنّ تحبّ له ما تحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك...، والحقّ السابع: إنّ تبرّ قَسَمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، واذا علمت أنّ له حاجة تبادره إلى قضائها».[1]

وسأل معاوية بن وهب الإمام الصادقعليه السلام: قلت لأبي عبد اللهعليه السلام: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وفيما بيننا وبين خلطائنا من الناس؟ قالعليه السلام:

«تؤدون الأمانة إليهم وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم وتشهدون جنائزهم».[2]

إنّ عيادة المريض عمل أخلاقي يدخل الفرحة والسرور والرضا على قلب المريض، وسيكون له أثر طيب في شفائه أو التخفيف من معاناته.

٢. التشجيع على العيادة

يعتبر الإسلام العيادة واجباً اجتماعياً ينبغي على المسلم أداؤه، وقد جعل الله عزّ وجلّ لهذا العمل الصالح الثواب والأجر الجزيل يقول نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله:

«إذا عاد المسلم أخاه وزاره قال الله تعالى: «طبت وطاب ممشاك وتبوأت منزلاً في الجنّة».

ويقولصلى الله عليه وآله أيضاً:

«أيّما مؤمن عاد مؤمناً مريضاً في مرضه حين يصبح شيعه سبعون ألف ملك، فإذا

---

١. المصدر: ٧٤/ باب ١٥، ح ٤٠.

٢. *الكافي*: ٦٣٥/٢.

قعد غمرته الرحمة واستغفروا له حتّى يمسي، وإن كان مساء كان له مثل ذلك حتّى يصبح».[١]

وعنه صلّى الله عليه وآله:

«يعيّر الله عزّ وجلّ عبداً من عباده يوم القيامة فيقول: عبدي! ما منعك إذا مرضت أن تعودني فيقول: سبحانك أنت ربّ العباد لا تألم ولا تمرض. فيقول: مرض أخوك المؤمن فلم تعده وعزّتي وجلالي لو عدته لوجدتني عنده، ثُمّ لتكفلت حوائجك فقضيتها لك وذلك من كرامة عبدي المؤمن وأنا الرحمن الرحيم».[٢]

وعن الإمام الباقر عليه السلام:

«كان فيما ناجى به موسى بن عمران ربّه عزّ وجلّ أن قال له: يا ربّ، ما بلغ من عيادة المريض من الأجر؟ قال: أُوكّل به ملكاً يعوده في قبره إلى محشره».[٣]

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«من عاد مريضاً في الله لم يسأل المريض للعائد شيئاً إلّا استجاب الله له».[٤]

٣. آداب العيادة

للعيادة آداب وأُصول ينبغي علينا الالتزام بها:

أ) أن نحمل له هدية ممّا يدخل البهجة في قلب المريض أو نحمل له شيئاً هو في حاجة إليه.

يقول النبي صلّى الله عليه وآله:

«من أطعم مريضاً شهوته أطعمه الله من ثُمّار الجنّة».[٥]

---

١. المصدر: ٢/١٢٠، ح ٦.

٢. *بحار الأنوار*: ٧/ باب١٥، ح ٧٥.

٣. المصدر: ٨١/ باب ٤، ح ١١.

٤. المصدر: ٨١/ باب ٤، ح ١٠.

٥. المصدر: ٨١/ باب ٤، ح ٣٢.

وجاء في كتب الروايات:

إنّ أحدهم مرض وذهب جمع من إخوانه لعيادته، فصادفوا الإمام الصادق عليه السلام في الطريق فسألهم عن وجهتهم قالوا: نريد أن نعود فلاناً فقال عليه السلام: قفوا، فوقفوا. قال: مع أحدكم تفاحة أو سفرجلة أو أترجة أو لعفة من طيب أو قطعة من عود بخور؟ قالوا: ما معنا من هذا شيء. قال عليه السلام: «أما علمتم أنّ المريض يستريح إلى كلّ ما أُدخل به عليه؟».[١]

ب) ومن آداب العيادة أن يقلّ المرء المكث عند المريض فلا يثقل عليه. يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله: «خير العيادة أخفها»[٢] ويقول صلى الله عليه وآله أيضاً: «العيادة قدر فواق ناقة»[٣] أي مدّة استراحة الإبل.

ويقول سيّدنا علي عليه السلام:

«إنّ من أعظم العواد أجراً عند الله لمن إذا عاد أخاه خفف الجلوس إلاّ أن يكون المريض يحبّ ذلك ويريده».[٤]

ج) ومن آداب العيادة أن نسأل المريض عن علّته وندعو له بالشفاء، وأن نصافحه بحرارة ومحبّة، يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«تمام عيادة المريض أن يضع أحدكم يده عليه ويسأله كيف هو: كيف أصبحت وكيف أمسيت؟ وتمام تحيتكم المصافحة».[٥]

ويقول صلى الله عليه وآله أيضاً:

«عودوا المرضى... وتدعوا للمريض، فتقول: اللّهمّ اشفه بشفائك وداوه بدوائك وعافه من بلائك».[٦]

---

١. المصدر: ج ٨١/ باب ٤، ح ٣٩.

٢. *كنز العمال*: ٩/ ٩٤، ح ٢٥١٣٩.

٣. *الكافي*: ٣/ ١١٨.

٤. *بحار الأنوار*: ٨١/ باب ٤ ح ١.

٥. المصدر: ٨١/ باب ٤، ح ٣٢.

٦. المصدر: ٨١/ باب ٤، ح ٣٢.

د) ومن آداب العيادة في الإسلام إنّ نشعره بالأمل فنتحدّث معه بوجه طلق ونبث في روحه القوّة ونعزز معنوياته. قال سيّدنا:

«اذا دخلتم على المريض فنفّسوا له في الأجل، فإنّ ذلك لا يردّ شيئاً وهو يطيّب النفس».[1]

فحتّى لو كانت حالة المريض مأيوساً منها، فالمطلوب منّا عندما نعوده، أن نتحدّث عن شفائه؛ لأنّ في هذا راحة للمريض، فلا نجمع عليه المرض والحزن والكآبة.

هـ) ومن آداب العيادة التي ينبغي الالتزام بها هي عدم تناول الطعام، فلا ننتظر ذلك من أُسرة المريض. وقد روي عن الإمام علي عليه السلام قوله:

«نهى رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ يأكل العائد عند العليل فيحبط الله أجر عيادته».[2]

فلا يليق بالانسان المسلم إنّ يتناول الطعام في حضرة المريض، بل يكون جلّ همّه إدخال السرور والأمل على قلبه، والتحدّث إليه بما يخفف عنه آلام المرض ومعاناته.

---

١. المصدر: ٨١/ باب ٤، ح ٣٣.

٢. المصدر: ٨١/ باب ٤، ح ٤١.

الخُلاصة

عيادة المريض من آداب الإسلام الاجتماعية وهي من مصاديق إدخال السرور على قلوب المؤمنين، ويعدّ الإسلام العيادة من الحقوق التي ينبغي على المسلم أداؤها لإخوانه في حالة المرض، وفي العيادة أجر كبير وثواب جزيل.

للعيادة آداب وأُصول يتوجب علينا الالتزام بها وفي طليعتها إنّ نحمل إليه هدية مناسبة. وأن نُقلّ المكث والجلوس عنده، وأن نسأله عن حاله وعلّته، وأن ندعو له بالشفاء.

الأسئلة

١. لماذا تعدّ العيادة من مصاديق إدخال السرور؟

٢. ماذا نستنتج من كون العيادة من حقوق المؤمنين؟

٣. ما هو المراد من عيادة الله؟

٤. بين بإيجاز آداب العيادة.

الدرس الثامن عشر

المشاركة في الأفراح والأتراح

المؤمنون وبحكم العلاقة الأخوية، متضامنون متكافلون، يشتركون في الأفراح والأتراح، عندما يجد المرء إلى جانبه من يشاركه همومه وأحزانه، فإنّه يشعر بالدفء ويخف شعوره بالحزن والأسى.

ولذا فإنّ مشاركة الآخرين أحزانهم وأفراحهم من مصاديق العلاقة الأخوية.

والإنسان بطبعه يحبّ أن يشاركه الناس أفراحه وأتراحه سروره وأحزانه. ومن هنا يتوجب علينا أن نشارك الآخرين في فرحهم وغمهم.

وفي أدبيات الإسلام نجد مفردات مثل التآخي والتزاور وغيرها، وهي تعبير عن التبادل في العاطفة الأخوية والتبادل في الزيارات، والتساوي بين جميع الأطراف.

والآن نتطرّق إلى مصاديق المشاركة الأخوية:

١. تلبية الدعوات

من واجبات الفرد المسلم إزاء إخوانه في الدين أن يجيب دعوتهم إذا دعوه، فالداعي له حقّ وحقّه إجابته. يقول الإمام الصادقعليه السلام: «من حقّ المسلم أن يجيبه إذا دعاه».[١]

---

١. المصدر: ٧٥/ باب ٨٩ ح ٥.

ومن الجفاء ألّا يلبّي المؤمن دعوة أخيه أو يلبّي الدعوة، ثُمّ لا يتناول الطعام في بيته.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاثة من الجفا... أنّ يدعى الرجل إلى طعام فلا يجيب أو يجيب فلا يأكل».[١] ويقول عليه السلام: أيضاً: «من الحقوق الواجبات للمؤمن على المؤمن إنّ يجيب دعوته».[٢]

إنّ الدعوة إلى الولائم ومجالس الضيافة هي من أكثر الدعوات شيوعاً في المجتمعات الإسلامية. ومن الطبيعي إنّ الداعي وهو يستعد ويتهيأ لاستقبال ضيوفه، إذا يشعر بالمرارة اذا لم يلبّ المدعوون دعوته. وصاحب الدعوة يبتهج بحضور إخوانه من الضيوف ويدرك مدى احترامهم له، وهم أيضاً قد أدخلوا السرور على قلبه بإجابة دعوته، فإجابه الدعوة وتلبيتها واجب على المدعو وحقّ للداعي، ولذا قال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«أُوصي الشاهد من أُمتي والغائب إنّ يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة أميال، فإنّ ذلك من الدين».[٣]

ويقول صلى الله عليه وآله في حديث آخر:

«من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله. ويكره إجابة من يشهد وليمته الأغنياء دون الفقراء».[٤]

لقد نظم الإسلام علاقات الأفراد وفق معيار الأُخوة والمساواة، ولذا جعل عدم تلبية دعوة الأخ المسلم معصية لله وللرسول؛ ولأنّ الهدف من إجابة الدعوة هو تعزيز الآصرة الأخوية، فإنّ حضور ولائم الأغنياء التي لا يدعى إليها الفقراء أمر مكروه.

---

١. المصدر: ٧٤/ باب ١١، ح ٥.
٢. المصدر: ٧٥/ باب ٨٩ ح ٦.
٣. المصدر: ٧٥/ باب ٨٩ ح ٧.
٤. المصدر: ٧٥/ باب ٨٩ ح ١١.

إنّ ولائم الأغنياء غالباً ما تقام من أجل التفاخر والتباهي بالمال والثراء، وفي هذا ما يصطدم مع آداب الإسلام وقيمه الأخلاقية.

وقد ورد في التاريخ: إنّ عثمان بن حنيف وهو صحابي جليل كان حاكماً على مدينة البصرة في خلافة الإمام علي عليه السلام، وقد دعاه أحد اثرياء المدينة إلى وليمة ولبّى الحاكم دعوة الرجل الثري، وعندما وصل خبر ذلك إلى الإمام علي عليه السلام بعث إليه رسالة يؤنبه فيها:

«يا بن حنيف، فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تُستطاب لك الألوان وتُنقل إليك الجفان، وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ وغنيّهم مدعوّ».[1]

نجد في هذه الرسالة تطبيقاً لما ورد في حديث نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله حول كراهية حضور الولائم التي لا يدعى إليها الفقراء.

٢. حضور التعازي ومجالس الحداد

من واجبات المؤمنين إزاء بعضهم البعض هو المشاركة في مجالس التعازي والحداد على أرواح الموتى، وقد ورد في الأحاديث الشريفة ما يؤكّد على المشاركة في مراسم التشييع ومواراة الموتى الثرى، وتقديم التعازي لأسرة الفقيد وذويه.

كما أنّ مسائل مثل غسل الميت وتكفينه والصلاة عليه واجبة كفائياً في الفقه الإسلامي.

وفيما يلي طائفة من الأحاديث في هذا المضمار:

الإمام الباقر عليه السلام:

«من شيع جنازة امرئ مسلم أُعطي يوم القيامة أربع شفاعات، ولم يقل شيئاً إلاّ قال الملك: ولك مثل ذلك».[2]

---

١. المصدر: ٣٣/ باب ٢٩، ح ٦٨٦.

٢. المصدر: ٨٠ / باب ٧، ح ٢.

الإمام الصادقعليه السلام:

«من شيع جنازة مؤمن حتّى يدفن في قبره وكّل الله عزّ وجل سبعين ألف ملك من المشيعين يشيعونه ويستغفرون له إذا خرج من قبره».[١]

أيضاً:

«من شيع جنازة مؤمن حُطّ عنه خمس وعشرون كبيرة».[٢]

أيضاً ـ مخاطباً أحد أصحابه ـ:

«يا خيثُمَة اقرأ موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله العظيم... وأن يشهد أحياؤهم جنائز موتاهم».[٣]

الإمام الباقرعليه السلام:

«أيّما مؤمن غسل مؤمناً فقال إذا قلبه: اللّهمّ هذا بدن عبدك المؤمن وقد أخرجت روحه منه وفرّقت بينهما فعفوك عفوك. غفر الله له ذنوب سنة إلّا الكبائر».[٤]

الإمام الصادقعليه السلام:

«من غسل ميّتاً مؤمناً فأدّى فيه الأمانة غفر له. قيل: وكيف يؤدي فيه الأمانة؟ قال: لا يخبر بما يرى».[٥]

الإمام الحسن السبطعليه السلام: عن جدّه نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله:

«ما من مؤمن يصلّي على الجنائز إلاّ أوجب الله له الجنة إلاّ أن يكون منافقاً أو عاقّاً».[٦]

الإمام الصادقعليه السلام عن النبيصلى الله عليه وآله:

---

١. المصدر: ٨١ / باب٧، ح ١.

٢. المصدر: ٨١ / باب٧، ح ٦.

٣. المصدر: ٧١ / باب٧، ح ٩.

٤. المصدر: ٨١/ باب٩، ح ٥.

٥. المصدر: ٨١/ باب٨ ح ٦.

٦. المصدر: ٣٤٧/٧٨.

«من صلّى على ميت صلّى عليه سبعون ألف ملك، وغفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فإن قام حتّى يدفن ويحثى عليه التراب كان له بكلّ قدم نقلها قيراطاً من الأجر والقيراط مثل جبل أُحد».[1]

وهذه الأحاديث فيها المشاركة في مراسم الغسل والتكفين والتشييع وإقامة الصلاة على الميت وثواب ذلك كما تفيد الأحاديث.

وهناك واجبات أُخرى على المؤمنين، وهي في تقديم التعازي وحضور مجالس قراءة سورة الحمد فاتحة الكتاب العزيز.

عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«من عزى مصاباً فله مثل أجره».[2]

وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً:

«من عزى أخاه المؤمن من مصيبته كساه الله عزّ وجلّ من حلل الكرامة يوم القيامة».[3]

وعن سيّدنا علي عليه السلام قال:

«من عزى الثكلى أظلّه الله في ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه».[4]

كما أنّ في زيارة قبور الموتى وخاصّة الوالدين ثواب كبير وأجر وفير؛ لأنّ في ذلك ما يدخل الفرح على سكان القبور.

يقول سيّدنا علي عليه السلام:

«زوروا موتاكم فإنّهم يفرحون بزيارتكم، وليطلب الرجل حاجته عند قبر أبيه وأُمه بعدما يدعو لهما».[5]

---

١. المصدر: ٧٦/ باب ٦، ح ١.

٢. المصدر: ٨٢/ باب ١٦، ح ٤٩.

٣. المصدر: ٨٢/ باب ١٦، ح ٤٦.

٤. المصدر: ٨٢/ باب ٢٦، ح ٥٧.

٥. المصدر: ١٠/ باب ٧، ح ١.

وجاء في سيرة أهل البيت عليهم السلام:

إنّ أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام سأل الإمام عن الرجل يزور قبر والديه أو صديقه هل ينفع الميت شيئاً، فقال الإمام عليه السلام: «نعم، إنّ ذلك يدخل عليه، كما يدخل على أحدكم الهدية يفرح بها».[١]

وعن أحد أصحاب الإمام عليه السلام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام نصلّي عن الميت؟ قال: «نعم حتّى أنّه ليكون في ضيق فيوسّع الله عليه ذلك الضيق، ثُمّ يؤتى فيقال له: خفف عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك».[٢]

وعنه عليه السلام أيضاً:

«إنّ الميت ليفرح بالترحم عليه والاستغفار له، كما يفرح الحيّ بالهدية تهدى إليه».[٣]

---

١. المصدر: ٧٩/ ٦٤.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٩/ ٦٢، باب ١٤.

٣. المصدر: ٨٢ باب ١٤، ح ١.

الخُلاصة

يجب على المؤمن تلبية دعوة أخيه، فمن آداب الإسلامِ إجابة الدعوة، ومشاركة المؤمنين أفراحهم وأتراحهم. إنّ من واجب المؤمنين إزاء بعضهم البعض حضور مجالس الفرح والمشاركة في مجالس العزاء وتقديم التعازي لذوي الفقيد وأُسرته.

الأسئلة

١. لماذا تعدّ إهمال دعوة المؤمن جفاءً له؟
٢. أيّ الدعوات يكره إجابتها؟ استشهد بالحديث النبوي الشريف.
٣. ما هو واجبنا إزاء موتى المؤمنين؟
٤. ما هو واجبنا إزاء أهل المصاب؟
٥. هل يمكن إدخال السرور على المؤمن بعد وفاته؟ كيف؟

الدرس التاسع عشر

الضيافة والتزاور

من آداب الإسلام الاجتماعية هي تزاور المؤمنين واستقبال بعضهم البعض، وأنّ من الضروري أخلاقياً أن يتفقد المؤمن أخاه المؤمن يزوره ويتفقد شؤونه، وفي ذلك ما يعزز بين المؤمنين أواصر الأخوة والمحبّة والألفة.

وإذا تضاءلت ظاهرة التزاور بين المؤمنين ازدادت الفاصلة بين القلوب وتنحسر العلاقة الأخوية. ومن هنا على المؤمن أن يحافظ على ارتباطه مع إخوانه بالزيارات فإذا تعذرت الزيارة فعليه أن يراسله ويبدي له حبّه واعتزازه واهتمامه بشؤونه.

إنّ الإسلام يجعل من علاقة الأخوة الإسلامية والمحبّة في سبيل الله معياراً للزيارات الأخوية، أي أن تكون زيارة المؤمن لأخيه خالصة لله.

يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«من زار أخاه المؤمن إلى منزله لا حاجة منه إليه كتب من زوار الله وكان حقيقاً على الله أن يكرم زائره».[1]

---

١. المصدر: ٧٥ / باب ٨١ ح٧٧.

وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً:

«من زار أخاه في بيته، قال الله (عزّ وجلّ) له: أنت ضيفي وزائري، عليّ قراك، وقد أوجبت لك الجنّة بحبّك إيّاه».[1]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«من زار أخاه في الله قال الله عزّ وجلّ: إيّاي زرت وثوابك عليّ ولست أرضى لك ثواباً دون الجنة».[2]

ويروي الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله:

«حدّثني جبرئيل عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ أهبط إلى الأرض ملكاً فأقبل ذلك الملك يمشي حتّى وقع إلى باب عليه رجل يستأذن على ربّ الدار، فقال له الملك: ما حاجتك إلى ربّ هذه الدار؟ قال: أخٌ لي مسلم زرته في الله تبارك وتعالى. فقال له الملك: ما جاء بك إلاّ ذاك؟ قال: ما جاء بي إلاّ ذاك. قال: فإنّي رسول الله إليك وهو يقرؤك السلام ويقول: وجبت لك الجنّة، وقال الملك: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: أيّما مسلم زار مسلماً فليس إيّاه زار، بل إيّاي زار وثوابه عليّ الجنة».[3]

ومن هذا الحديث وغيره نكتشف أنّ زيارة المؤمن في الله هو زيارة لله عزّ وجلّ.

من هنا يجب علينا إنّ نهتمّ بهذا الأدب الإسلامي الرفيع.

ولأنّ التزاور بين المؤمنين يؤدّي إلى تبادل الأحاديث فهو يتضمّن فائدة ثقافية للجميع وروحية تزيد من حالة المودّة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«تزاوروا فإنّ في زيارتكم إحياء قلوبكم وذكراً لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطّف

---

١. المصدر: ٧٤ / باب ٢١، ح٦.

٢. المصدر: ٧٤ / باب ٢١، ح٤.

٣. المصدر: ٥٩ / باب ٢٣، ح٣٩.

بعـضكم علـى بعـض، فـإن أخـذتم بهـا رشـدتم ونجـوتم، وإن تركتموهـا ضـللتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم».[١]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«تزاوروا في بيوتكم، فإنّ ذلك حياة لأمرنا رحم الله عبداً أحيا أمرنا».[٢]

وتتضمّن أحاديث أهل البيت عليهم السلام في أدب التزاور دعوة لنا بالمبـادرة؛ لأنّ إشـاعة ثقافة التزاور تحتاج إلى مبادرة من المؤمنين، وينبغي أن تكون الزيارة هادفة، أي تنمية روح الألفة.

يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«الزيارة تنبت المودّة».[٣]

ويقول سيّدنا علي عليه السلام:

«لقاء الإخوان مغنم جسيم وإن قلّوا».[٤]

الضيافة

عادة ما يستعد المرء لاستقبال ضيوفه وزوّاره، حيث يعدّ مكان للاستقبال يوفر جوّاً من الصميمية والأُلفة، ولأنّ ظاهرة الضيافة تعزز من أواصر الأُخوة بـين المـؤمنين فقـد حثت عليها الأحاديث الشريفة وشجعت، وجعلت للضيافة قيمة أخلاقية هامّة.

يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله: «كلّ بيت لا يدخل فيه الضيف لا تدخله الملائكة».[٥]

ويقول صلى الله عليه وآله أيضاً: «لا خير فيمن لا يضيّف».[٦]

---

١. المصدر: ٧٤ / باب ١٥، ح٥٦.

٢. المصدر: ٢ / باب١٩، ح٦.

٣. المصدر: ٧٤ / باب ٢١، ح٣٦.

٤. المصدر: ٧٤ / باب ٢١، ح١٦.

٥. المصدر: ٧٥ / باب ٩٣، ح ١٤.

٦. *المحجة البيضاء*: ٣٢/٣.

وقد نهى ﷺ عن التكلّف للضيف حتّى لا يؤدّي ذلك إلى بغضه:

«لا تكلفوا للضيف فتبغضوه، فإنّ من أبغض الضيف فقد أبغض الله، ومن أبغض الله فقد أبغضه الله».[١]

ويقول نبيّنا محمّد ﷺ عن الضيف:

«الضيف ينزل برزقه ويرتحل بذنوب أهل البيت عليهم السلام».[٢]

ويقول سيّدنا علي عليه السلام:

«من أتاه الله مالاً فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة».[٣]

آداب الضيافة

للضيافة آداب وأُصول بعضها يتعلّق بسلوك المضيّف، والآخر يرتبط بسلوك الضيف وفيما يلي أهمّها:

١. الاهتمام بالمعيار الديني في الضيافة وأن يجلس إلى مأدبتك المؤمنون الأتقياء. قال النبي ﷺ:

«لا تأكل إلّا طعام تقيّ ولا يأكل طعامك إلّا تقي».[٤]

وقال ﷺ:

«لا تأكل طعام الفاسقين».[٥]

وقال ﷺ أيضاً:

«أضف طعامك وشرابك من تحبّه في الله».[٦]

---

١. المصدر: ٣١/٣.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٩٣، ح ١٤.

٣. المصدر: ٧٤ / باب ٣٠، ح ٣٥.

٤. المصدر: ٧٤ / ٨٦

٥. المصدر: ٧٧ / باب ٤، ح ٢.

٦. المصدر: ٧٥ / باب ٩٣، ح ١٥.

وقد تعلّمنا في الدرس الماضي عدم التميز في الدعوات بين الأغنياء والفقراء، والالتزام بالمعيار الديني والأخلاقي فقط.

٢. عدم التميز في تلبية الدعوات بين الفقراء والأغنياء، والمعيار الوحيد هو إنّ يكون الداعي إنساناً مؤمناً وتقياً.

جاء في سيرة سيّدنا الحسن السبط عليه السلام أنّه اجتاز على جماعة من الفقراء قد وضعوا على وجه الأرض كِسَرات من الخبز، كانوا قد التقطوها من الطريق وهم يأكلون منها، فدعوه إلى مشاركتهم فأجابهم إلى ذلك، وهو يقول: «إنّ الله لا يحبُّ المتكبّرين»، ولما فرغ من تناول الطعام دعاهم إلى ضيافته فاطعمهم وكساهم وأغدق عليهم.[1]

كما ينبغي إلاّ نتعلّل من الذهاب وتلبية الدعوة بسبب بعد المسافة، وقد قرأنا في الدرس الماضي الحديث الشريف:

«أُوصي الشاهد من أُمتي والغائب إنّ يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة أميال، فأنّ ذلك من الدين».[2]

٣. إنّ من آداب الضيافة ألاّ يفكر الضيف في تصدّر المجلس، وأن يجلس حيث ينتهي به المجلس وألّا يتسبب حضوره في إزعاج الضيوف الآخرين في أماكنهم، ومن الآداب يقضي بأن يسلس قياده للمضيف في اختيار مكان الجلوس.

٤. على المُضيّف ألاّ يستخدم ضيوفه في أي عمل، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «نهى رسول الله عن إنّ يستخدم الضيف».[3]

٥. على المضيِّف ألاّ يتكلّف لضيوفه ما لا يطيق وألاّ يشق على أُسرته في

---

١. *أعيان الشيعة*: ٤ / ٢٤.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٢ / ٤٤٧.

٣. المصدر: ٧٥ / ٤١، ح ٤٩.

الاستعداد للضيوف واستقبالهم، وقد جاء في سيرة سيّدنا عليعليه السلام: إنّ أحدهم دعاه إلى منزله فاشترط عليه الإمام ثلاثة أشياء قائلاً:

«لا تدخل عليّ شيئاً من خارج، ولا تدّخر عليّ شيئاً في البيت، ولا تجحف بالعيال».[1]

وعندما وافق الرجل لبى الإمامعليه السلام دعوته.

إنّ التكلّف في الاستعداد لاستقبال الضيوف يتنافى مع العلاقات الأخوية، بل إنّه عندما يكتشف الضيف أنّ مضيّفه قد تكلّف له وشقّ على أُسرته ذلك، فإنّه سيشعر بالأسى، وقد يفكر بعدم تكرار الزيارة في المستقبل، وربّما يفكّر الضيف تفكيراً سلبياً، وهو أن يرتّب ضيافة أوسع وتحصل حالة من التسابق يؤدّي إلى الإسراف والتنافس، وإلى ظهور فتور في العلاقات الأخوية الصميمية.

٦. على المضيّف أن يكون هو البادئ في تناول الطعام، ثُمّ لايرفع يده حسنة، يقول الإمام الصادقعليه السلام:

«كان رسول اللهصلى الله عليه وآله إذا أكل مع القوم أوّل من يضع يده مع القوم، وآخر من يرفعها لئن يأكل القوم».[2]

إنّ هذه الخطوة من قبل المضيّف تنسجم مع نفسية الضيف الذي قد يخجل أن يكون هو البادئ.

٧. ومن الآداب الاجتماعية في هذا المضمار أن يقوم المضيف بمرافقة ضيوفه إلى باب الدار عند انصرافهم، يقول نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله: «إنّ من سنّة الضيف أن يُشيَّع إلى باب الدار».

كما أنّ على الضيف ألاّ ينصرف حتّى يستأذن مضيفه، وأن يودعه بوجه طلق وملامح باسمة، ويظهر له تقديره وسعادته بهذه الضيافة.

---

١. المصدر: ٧٥ / ٩١، ح٤.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٩١، ح٢٢.

الخُلاصة

التزاور بين المؤمنين يعززّ من أواصر الأُخوة وعامل في تنمية الأُلفة والمحبّة بينهم، ولذا جاء في الأحاديث الشريفة ما يؤكّد على التزاور، كما أنّ الضيافة هي الأُخرى لها دور كبير في ذلك. ومن آداب الإسلام إنّ يدعى المؤمنون والصالحون ولا يدعى أهل الفسق والفجور، وألاّ يكون هناك أي تمييز بين الفقراء والأغنياء؛ لأنّ المعيار الإسلامي في التكريم هو التقوى.

إنّ على الضيف أن يدخل مجلس مُضيّفه بوجه طلق ويغادر الدار معرباً عن شكره وشعوره بالارتياح، وعليه إنّ يجلس حيث ينتهي به المجلس.

على المضيّف ألاّ يستخدمِ ضيفه في أي عمل وألاّ يشقّ على نفسه وأُسرته في الاستعداد للضيافة، وعليه أن يرافق ضيفه لدى انصرافه إلى باب الدار.

على المضيّف أن يكون هو البادئ في تناول الطعامِ وألاّ يرفع يده حتّى ينتهي جميع ضيوفه ويرفعوا أيديهم.

الأسئلة

١. ماهي أهمّية التزاور بين المؤمنين في ضوء الأحاديث الشريفة؟

٢. ماهو معيار التزاور والهدف من وراء الزيارة في ضوء الآداب الإسلامية؟

٣. بيّن قيمة التزاور بين المؤمنين.

٤. ما هي أهمّية الضيافة في ضوء أحاديث أهل البيت عليهم السلام؟

٥. بين بإيجاز آداب الضيافة.

الدرس العشرون

التحية والسلام

التحية من تقاليد الشعوب والأُمم، إذ يعبر الإنسان عن عواطفه ومشاعره بإلقاء التحية والمصافحة والشدّ على الأيدي. وفي الآداب الإسلامية يقوم الفرد بإلقاء التحية قائلاً: «السلام عليكم».

ومفردة «السلام» غنية في التعبير، ثُمّ تأتي المصافحة والمعانقة لتأكيد حالة الصفاء والمودّة بين أفراد المجتمع.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «السلام تحية لملّتنا وأمان لذمّتنا».[1]

وقد ذكر القرآن هذه التحية المباركة في مناسبات كثيرة، وفيما يلي نشير إلى بعضها:

١. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[2]

٢. قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً﴾.[3] وفي هذه الآية نجد الإنسان المؤمن يتجاوز الخطاب الجاهلي ويرد عليه بالسلام.

---

١. بحارالأنوار: ٧٦ / باب ٩٧، ح٤٦.

٢. النور:٦١.

٣. الفرقان:٦٣.

٣. عندما قام آذر بتهديد إبراهيم وأمره بالعودة إلى عبادة الأصنام، أجاب إبراهيم أباه: ﴿قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[١]

وعندما جاء الملائكة بهيئة الضيوف ودخلوا على إبراهيم في منزله حيّوه: ﴿قَالُوا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ﴾.[٢]

٤. تضمّنت سورة الصافات تحيات الله عزّ وجلّ لأنبيائه ورسله وجاء فيها: ﴿سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[٣]، ﴿سَلاَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٤]، ﴿سَلاَمٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾[٥]، ﴿سَلاَمٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾.[٦]

٥. وفي اللحظة التي تعرج فيها روح الإنسان المؤمن تستقبله الملائكة بهذه التحية المباركة وتبشر بالمصير الأخضر: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[٧]

وفي الجنّة يحيّي الملائكة الناس الطيبين: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.[٨]

كما ويحيّي أهل الجنة بعضهم البعض بهذه التحية: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾.[٩]

ولأهمّية هذه التحية ودورها الاجتماعي في تعزيز العلاقات والروابط الأخوية جاء في الأحاديث الشريفة عن النبي صلى الله عليه وآله وآله الاطهار عليهم السلام ما يؤكّد عليها، وهذه طائفة من الأحاديث:

---

١. مريم:٤٧.

٢. هود:٦٨.

٣. الصافات:٧٩.

٤. الصافات:١٠٩.

٥. الصافات:١٢٠.

٦. الصافات:١٣٠.

٧. النحل:٣٢.

٨. الرعد: ٢٣، ٢٤.

٩. يونس:١٠، إبراهيم:٢٣.

١. قال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«إنّ في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها يسكنها من أُمتي من أطاب الكلام وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلّى بالليل والناس نيام».[1]

٢. عن الإمام الصادق عليه السلام:

إنّ نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله قال: «يا بني عبدالمطلب أفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وتهجدوا والناس نيام، وأطعموا الطعام، وأطيبوا الكلام تدخلوا الجنّة بسلام».[2]

٣. عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«سلم على من لقيت يزيد الله في حسناتك وسلّم في بيتك يزيد الله في بركتك».[3]

٤. وقال صلى الله عليه وآله أيضاً:

«ألا أُخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: إفشاء السلام في العالم».[4]

٥. وقال صلى الله عليه وآله:

«إنّ السلام اسم من أسماء الله تعالى فافشوه بينكم».[5]

٦. قال الإمام الصادق عليه السلام:

«من قال: سلام عليكم ورحمة الله، فهي عشرون حسنة».[6]

وعنه عليه السلام أيضاً قال:

«إنّ من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام».[7]

---

١. *بحار الأنوار*: ٨ / باب٢٣، ح٥.

٢. المصدر: ٦٩ / باب٣٨، ح٧٤.

٣. المصدر: ٦٩ / باب٣٨، ح٨١.

٤. المصدر: ٧٦ / باب٩٧، ح٥٠.

٥. المصدر: ٨٤ / باب١٧، ح٣٠.

٦. المصدر: ٧٦ / باب٩٧، ح٤٦.

٧. المصدر: ٧٦ / باب٩٧، ح٤٦.

وعنهعليه السلام أيضاً:

«من التواضع إنّ تسلّم على من لقيت».[١]

ولأنّ التحية كلمات طيبة لا تكلّف المرء شيئاً، فإنّ البخل بها يدلّ على بخل في الإنسان شديداً؛ ولذا جاء عن نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله أنّه قال:

«أبخل الناس من بَخلَ بالسلام».[٢]

آداب التحية والسلام

للتحية والسلامِ آداب في الإسلامِ ينبغي علينا رعايتها:

١. أفضلية البدء في إلقاء التحية؛ ولأنّ التحية من عمل الخير فإنّ الاستباق في لقاء السلامِ أمر محمود قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.[٣]

وجاء في السيرة النبوية الشريفة: إنّ نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله كان يبادر من يلقاه بالسلام. وقد روي عنهصلى الله عليه وآله أنّه قال:

«السلام سبعون حسنة تسعة وستون للمبتدئ وواحدة للرادّ».[٤]

٢. ينبغي إنّ يكون السلامِ بصوت واضح ومسموع وأن يكون رد السلامِ مسموعاً وواضحاً، أيضاً يقول الإمامِ الصادقعليه السلام في ذلك:

«إذا سلّم أحدكم فليجهر بسلامه، لا يقول: سلّمتُ فلم يردّوا عليّ، ولعلّه يكون قد سلّم ولم يُسمعهم، فإذا ردّ أحدكم فليجهر بردّه، ولا يقول المسلّم: سلّمتُ فلم يردّوا عليّ».[٥]

---

١. المصدر: ٧٥ / باب ٥١، ح٩.

٢. المصدر: ١٠٠ / باب٥، ح٢٦.

٣. المائدة:٤٨.

٤. *بحارالأنوار*: ٧٦ / باب ٩٧، ح٤٦.

٥. *الكافي*: ٢ / ٤٦٥، ح٧.

٣. إنّ أداء التحية والسلام مشروط في البدء بالحديث وبالكلام، يقول نبيّنا محمّد ﷺ:

«من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه».[١]

ويقول ﷺ أيضاً:

«لا تدع إلى طعامك أحداً حتّى يسلّم»[٢]

ويقول سيّدنا الحسين عليه السلام:

«لا تأذنوا لأحد حتّى يسلّم»[٣]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «السلام قبل الكلام».[٤]

٤. إنّ المبادرة بالسلام أمر مطلوب من الجميع مهما علت منزلتهم، وقد حث نبيّنا محمّد ﷺ أتباعه على ذلك، وجاء في السيرة الشريفة قوله ﷺ:

«خمس لا أدعهنّ حتّى الممات... والتسليم على الصبيان لتكون سنّة بعدي».[٥]

إنّ آداب التحية في السلام يحددها النبي ﷺ في قوله الشريف:

«السنّة إنّ يسلّم الراكب على الماشي، وراكب الفرس على راكب الحمار، والصغير على الكبير، والأقلّ على الأكثر، والقائم على القاعد».

٥. ومن سنن الإسلام وآدابه في التحية أن يأتي الردّ على التحية بالمثل أو بأحسن منها قال الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾.[٦]

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٦ / باب ٩٧، ح٦.

٢. المصدر: ٧٦ / باب ٩٧، ح٦.

٣. المصدر: ٧٨ / باب ٢٠، ح٢.

٤. المصدر: ٩٣ / باب ١٧، ح١٧.

٥. المصدر: ١٦ / باب ٦، ح٣٧.

٦. النساء: ٨٦.

جاء في سيرة نبيّنا محمّدﷺ: إنّه كان جالساً في جمع من أصحابه فجاء رجل وسلّم قائلاً: السلام عليك، فردّ النبيﷺ تحيته قائلاً: وعليك السلام ورحمة الله، وجاء رجل آخر فسلم قائلاً: السلام عليك ورحمة الله، فردّ النبيﷺ تحيته قائلاً: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

ثُمّ جاء رجل ثالث فسلّم قائلاً: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فردّ النبيﷺ تحيته قائلاً: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، والتفت أحد الصحابة إلى أنّ النبيﷺ كان يزيد في جواب التحية للرجلين، أمّا الثالث فرد عليه تحيته بمثلها، فسأل النبيﷺ عن علّة ذلك فقالﷺ: إنّ الثالث لم يبق من التحية شيئاً.[١]

من هنا ندرك أنّ تمام التحية إنّ يقول المرء: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المصافحة والمعانقة

من آداب الإسلام وسننه الأُخرى هي المصافحة والمعانقة.

يقول سيّدنا عليعليه السلام:

«إذا لقيتم إخوانكم فتصافحوا وأظهروا لهم البشاشة والبشر، فتتفرّقوا وما عليكم من الأوزار قد ذهب».[٢]

ويقول الإمام الباقرعليه السلام:

«إذا تلاقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرقتم فتفرقوا بالاستغفار».[٣]

ويقول نبيّنا محمّدﷺ في أهمّية التصافح:

«تصافحوا فإنّ التصافح يذهب السخيمة».[٤] والسخيمة هي: الحقد والضغينة.

---

١. *بحار الأنوار*: ٨١ / ٢٧٤.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٦ / باب ١٠٠، ح٣.

٣. *بحارالأنوار*: ٧٦ / باب ٩٧، ح١٣.

٤. المصدر: ٧٧ / باب ٧، ح ١.

ويقول صلى الله عليه وآله أيضاً:

«إنّ تمام التحية للمقيم المصافحة وتمام التسليم على المسافر المعانقة».[١]

وجاء في السيرة النبويّة الشريفة: إنّ نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله إذا صافحه أحد يبقى يده في يده حتّى ينزعها الرجل، وفي هذا تعبير عن الحبّ والمودّة والاحترام للطرف الآخر.

وجاء في حديث للإمام الباقر عليه السلام:

«إنّ المؤمنين إذا التقيا وتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما، فصافح أشدّهما حبّاً لصاحبه».[٢]

---

١. المصدر: ٧٨ / باب ٢٣، ح١٠٨.

٢. المصدر: ٧٦ / باب ١٠٠، ح١٢.

الخُلاصة

التحية والتسليم والمصافحة والمعانقة من آداب الإسلامِ وسننه، وجاء في الأحاديث الشريفة ما يجيب المرء على السلامِ على التحية والاستباق في إلقاء السلام، كما أنّ ردّ التحية بأحسن منها أو بالمثل أدب يتوجب على المسلمين الالتزامِ به، وكما جاء في سنن الإسلامِ أنّ السلامِ قبل الكلامِ، فالتحية والتسليم تسبقان أي حديث بين المؤمنين.

الأسئلة

١. ماذا نستنتج من مجموع الآيات التي ورد فيها ذكر السلامِ والتحية؟

٢. ماذا يعني إفشاء السلامِ؟

٣. اذكر آداب التسليم التي وردت في حديث النبي ﷺ.

٤. كيف نردّ على التحية؟

٥. اشرح الحديث النبوي الشريف حول تمامِ التحية وتمامِ التسليم.

الدرس الحادي والعشرون

حفظ الحُرُمات

خلق الله عزّ وجلّ عباده وجعل لهم حقوقاً وحدوداً وحرمات، وأمرهم جميعاً بالالتزام بها ونهى عن تجاوزهما، فالإنسان له حرماته وحقوقه في الأمن والحياة والكرامة.

إنّ التزامِ أفراد المجتمع بهذه المبادئ يوفر لهم الاستقرار والرفاه والأمان وفي غير ذلك تسود المجتمعات الفوضى والاضطراب.

ومجتمع لايرى أفراده حرمة للملكية الشخصية ولا يرى حدّاً للحريات أو حرمة للعفة والكرامة سوف يتراجع في مسيرته ويضمحل ويتلاشى وينقرض.

من هنا جعل الله سبحانه لعباده حرمات وحقوق وأرسل انبياءه يبيّنون للناس ذلك، وفيما يلي استعراض لثلاثة موارد هامّة في الحقوق الإنسانية.

١. الحرمة الفردية

لكلّ إنسان حياته الشخصية الخاصّة فهو يعيش حرّيته الكاملة في منزله وينعم بحماية تامّة من تدخل الغير.

ومن آداب الإسلامِ وجوب احترامِ الحياة الشخصية للأفراد، وجاء في القرآن الكريم ما يؤكّد ويحمي الحياة الفردية والملكية الذاتية قال تبارك وتعالى: ﴿يا أَيهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيوتًا غَيرَ بُيوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.[١]

وفي مسألة الاستئذان يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«الاستئذان ثلاثة: أولهنّ يسمعون، والثانية يحذرون، والثالثة إن شاؤوا أذنوا وإن شاؤوا لم يفعلوا فيرجع المستأذن».[٢]

وكانت التقاليد الجاهلية تسمح للعرب دخول المنازل، حتّى من غير أبوابها، فلما ظهر الإسلام جعل لذلك آداباً يتوجب على المسلم الالتزام بها، يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَيسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[٣]

كما نظم الإسلام العلاقات والآداب الاجتماعية داخل المنازل، كما في قوله تعالى: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيسَ عَلَيكُمْ وَلَا عَلَيهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يبَينُ اللَّهُ لَكُمُ الْآياتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يبَينُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.[٤]

٢. ستر العيوب

لا يوجد إنسان يخلو من عيب، كما لا يوجد إنسان لا يخطئ، وقد جاء في الأثر

---

١. النور: ٢٧ ـ ٢٨.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٦ / ٩٨، ح٢.

٣. البقرة: ١٨٩.

٤. النور: ٥٨، ٥٩.

كلّ ابن آدمٍ خطّاء. ومن الطبيعي أن يسعى المرء في إخفاء عيوبه، والله سبحانه وتعالى هو ستار العيوب ويحبّ الساترين.

من هنا فإنّ تسقّط العيوب صفة سيئة وعمل حرام، ويعدّ عدواناً على كرامة الإنسان الآخر. يقول نبيّنا محمّدﷺ:

«من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة».[1]

وجاء في السيرة النبويّة الشريفة: أنّ أحدهم قال للنبيﷺ: أحبّ إنّ يستر الله عليّ عيوبي، فقال النبيﷺ:

«استر عيوب إخوانك ستر الله عليك عيوبك».[2]

وروي عنهﷺ قوله:

«من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان».[3]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«إنّ أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجل الرجل على الدين، ويحصي عليه عثراته وزلّاته ليعنفه بها يوماً».[4]

ويقول الإمام علي عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر:

«وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس، فإنّ في الناس عيوباً الوالي أحقّ من سترها فلا تكشفنّ عمّا غاب عنك منها، فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت يستر الله ما تحبّ ستره من رعيتك».[5]

---

١. *الترغيب والترهيب*: ٣ / ٢٣٩؛ *مسند أحمد*: ٤ / ١٠٤.

٢. *كنز العمال*: ١٦ / ١٢٩، ح٤٤١٥٤.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب٥٧، ح٤٠.

٤. المصدر: ٧٥ / باب٦٥، ح١٣.

٥. *بحار الأنوار*: ٣٣ / باب ٣٠، ح٧٤٤.

٣. أداء الأمانة

ومن حقوق المسلم أداء الأمانة، سواء كانت أموالاً أو ودائع أو أسراراً، أنّ أداء الأمانة واجب على كلّ مسلم، وأي خيانة في ذلك يعدّ تجاوزاً وعدواناً على الحقوق الاسلامية.

وآداب الإسلام تنظر إلى أداء الأمانة باعتباره في طليعة صفات المؤمنين، أمّا الخيانة فهي من الكبائر.

يقول القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.[١]

ويقول في موضع آخر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.[٢]

ويقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله: «لا دين لمن لا أمانة له».[٣]

ويقول صلى الله عليه وآله أيضاً: «ليس منّا من خان الأمانة».[٤]

و يقول صلى الله عليه وآله:

«آية النفاق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».[٥]

ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته».[٦]

إنّ أداء الأمانة جزء من أخلاق الإنسان وفطرته، بحيث ترقى لتكون جوهر

---

١. المؤمنون:٨.

٢. النساء:٥٨.

٣. *كنز العمال*: ٦٧٧/٣، ح٨٤٣٦

٤. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب٥٨، ح١٤.

٥. المصدر: ٧٢ / باب١٠٦، ح٦.

٦. المصدر: ٧١ / باب٦٠، ح١٠.

الرسالات الإلهية، يقول الإمام الصادقعليه السلام:

«إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً إلاّ بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر».[١]

ويقولعليه السلام أيضاً:

«أدّوا الأمانة ولو إلى قاتل الحسين بن علي».[٢]

وعن الإمام عليعليه السلام قال:

«لا تخن من ائتمنك وإن خانك، ولا تذع سرّه وإن أذاع سرّك».[٣]

ولهذا المسلك الأخلاقي والأدب الإسلامي الرفيع ثُمّاره في الدنيا وثوابه العظيم في الآخرة، يقول نبيّنا محمّدصلى الله عليه وآله:

«الأمانة تجلب الغنى، والخيانة تجلب الفقر».[٤]

ويقول الإمام عليعليه السلام في حديث مشابه:

«الأمانة تجرّ الرزق، والخيانة تجرّ الفقر».[٥]

ويقولعليه السلام:

«إذا قويت الأمانة كثر الصدق».[٦]

وعنهعليه السلام أيضاً قال:

«الأمانة تؤدّي إلى الصدق».[٧]

---

١. المصدر: ١١ / باب ٢، ح ٢١.

٢. المصدر.

٣. المصدر: ٧٧ / باب ٨ ح ١.

٤. المصدر: ٧٥ / باب ٥٨، ح ٤.

٥. المصدر: ٧٨ / باب ١٦، ح ١٣٨.

٦. غرر الحكم: ٣/ ١٣٤.

٧. المصدر: ٢/٧.

وقد ذكرنا آنفاً أنّ الأمانة لا تنحصر بالمال والأشياء الثُمّينة فقط، بل تشمل كلّ الأشياء الثُمّينة والزهيدة وكذلك الأسرار، والمسلم مطالب بأداء الأمانة إلى الخائن فلا نخون من خاننا ولا نذيع أسرار من أذاع أسرارنا.

إنّ أداء الأمانة واجب إلهي على كلّ مسلم ومؤمن.

الخُلاصة

لكلّ إنسان حياته الشخصية الخاصّة وله حرماته فلا يجوز اختراقها، أنّ له أمواله، وكرامته وأسراره، وعلى الجميع احترامه وأداء الأمانة إليه، فلا يجوز دخول منزله الأ بإذنه، ولا يجوز إذاعة أسراره أو تسقّط عيوبه، ومن يفعل ذلك كان خائناً.

الأسئلة

١. ما المقصود بالحرمات الشخصية والذاتية؟

٢. هل يمنع الغرباء فقط من تجاوز الحريم الذاتي؟

٣. ما هي الأوقات التي عينتها الآية الكريمة في الاستئذان داخل المنازل؟

٤. لماذا يعتبر الإسلام تسقّط العيوب عدواناً على حرمات الناس؟

٥. عيّن الموارد التي تشتمل عليها الأمانة.

الدرس الثاني والعشرون

الصديق والجليس (١)

تعدّ ظاهرة الصداقة من أبرز الظواهر في الحياة الاجتماعية، وغالباً ما ينتخب المرء عدّة أصدقاء أو يعثر عليهم خلال تجربته الحياتية، فالصديق إنسان آخر ينسجم مع النفس وتنجذب إليه الروح، كما أنّ الحياة الاجتماعية تتطلّب وجود أصدقاء يعتمد عليهم المرء إذا ما واجه مشكلة أو مرّ بأزمة، وقد شجعت أدبيات الإسلام على الصداقة وجعلت لها مكاناً فريداً، يقول سيّدنا علي عليه السلام: «من لا صديق له لا ذخر له»[١]، ويقول عليه السلام: «الأصدقاء نفس واحد في جسوم متفرقة».[٢] وإذا أردنا أن نعرف شخصية إنسان ما فيمكننا ذلك من خلال معرفة شخصية صديقه، يقول سيّدنا ونبينا محمّد صلى الله عليه وآله:

«المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».[٣]

ويقول صلى الله عليه وآله:

«اختبروا الناس بأخدانهم، فإنّما يخادن الرجل من يعجبه نحوه».[٤]

---

١. *غرر الحكم*: ١٧٧/١.

٢. المصدر: ١٢٣/٢.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٢ / باب ١٤، ح١٢.

٤. *المستدرك*: ٨ / باب ١٠/ ٣٢٧، ح ٩٥٦٨.

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«كلّ امرئ يميل إلى مثله.»[١]

ويقول عليه السلام أيضاً:

«لا يصحب الأبرار إلاّ نظراءهم ولا يوادّ الأشرار إلاّ أشباههم».[٢]

من هنا ندرك أنّه يجب تحرّي الدقّة في انتخاب الأصدقاء، فما هي مقوّمات الصديق المطلوب في ضوء القرآن الكريم والأحاديث الشريفة؟

١. يعدّ القرآن الكريم المؤمنين بشكل عام أهلاً للصداقة، فالمعيار الأوّل هو الإيمان، يقول عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِى يرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.[٣] ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِى يرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.[٤]

٢. إنّ الكرام من الناس هم الأجدر بعلاقات الصداقة، يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله: «أسعد الناس من خالط كرام الناس».[٥]

٣. ومن مقوّمات الصديق أن تذكر رؤيته بالله عزّ وجلّ، وأن يكون منطقه منطق العلم وعمله نابع من التقوى، يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال عليه السلام: «من ذكركم الله رؤيتُهُ وزادكم في علمكم منطقُهُ وذكّركُم الآخرة عملُهُ».[٦]

٤. يروي الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن جدّه الإمام زين العابدين عليه السلام حديثاً مفصلاً غاية في الدقّة وزاخراً بكلّ ما يعين المرء على الرؤية الصحيحة.

---

١. *غرر الحكم*: ٥٣٢/٤.

٢. المصدر: ٣٧٦/٦.

٣. الأنعام: ٥٢.

٤. الكهف: ٢٨.

٥. *بحار الأنوار*: ١ ب ٤ ح ١٣.

٦. *المستدرك*: ج ٥، ب ٤٢، ح ٦١٧٣.

يقولعليه السلام:

«إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتماوت في منطقه وتخاضع في حركاته، فرويداً لا يغركم فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف بنيته ومهانته وجبن قلبه، فنصب الدين فخاً لها فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكن من حرام امتحنه. وإذا وجدتموه يعفّ عن المال الحرام، فرويداً لا يغركم فإنّ شهوات الخلق مختلفة فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرماً. فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك فرويداً لا يغركم حتّى تنظروا ما عقدة عقله فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثُمّ لا يرجع إلى عقل متين فيكون ما يفسده بجهله أكثر ممّا يصلحه بعقله. فإذا وجدتم عقله متيناً، فرويداً لا يغركم حتّى تنظروا أمع هواه يكون على عقله أو يكون مع عقله على هواه، فكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها، فإنّ في الناس من خسر الدنيا والآخرة، يترك الدنيا للدنيا ويرى إنّ لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحلّلة فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة حتّى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[1] فهو يخبط خبط عشواء يقوده أوّل باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمدّه ربّه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه، فهو يَحلّ ما حرّم الله ويحرّم ما أحلّ الله لا يبالي بما فات من دينه إذا سَلمت رئاسته التي قد شقي من أجلها فأُولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً.

ولكن الرجل كلّ الرجل نعم الرجل الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله وقواه مبذولة في رضا الله، يرى الذلّ مع الحقّ أقرب إلى عزّ الأبد مع العز في الباطل، ويعلم أنّ قليل ما يحتمله من ضرّائها يؤدّيه إلى دوام النعم في دار لا تبيد ولا تنفد، وأنّ كثير ما يلحقه من سرّائها إن اتبع هواه يؤدّيه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل نعم الرجل، فبه

---

١. البقرة: ٢٠٦.

فتمسّكوا وبسنته فاقتدوا وإلى ربّكم به فتوسّلوا، وإنّه لا تُردّ له دعوة ولا تخيب له طلبة».[١]

إنّ المعيار الأساس الذي يضعه الإمام زين العابدين عليه السلام في الشخصية الإنسانية المنشودة هي في تبعية الهوى لشريعة الله عزّ وجلّ، بحيث تراه ناشطاً في كلّ ما يرضي الله تبارك وتعالى هو يرجح الذلّ ـ إذا كان مع الحقّ ـ على العز مع الباطل، وتراه في أخلاقه صبراً على كلّ شيء. أنّ الإمام السجّاد يطلب منّا ألاّ ننخدع بالمظاهر البرّاقة لبعض الناس.

٥. يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«سائلوا العلماء وخالطوا الحكماء وجالسوا الفقراء».[٢]

ويقول سيّدنا علي عليه السلام:

«صاحب الحكماء وجالس العلماء، واعرض عن الدنيا تسكن جنة المأوى».[٣]

ويقول أيضاً:

«أكثر الصواب والصلاح في صحبة أُولي النهى والألباب».[٤]

٦. يحدد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام شروطاً في اتّخاذ الأصدقاء، فيقول لأحد أصحابه:

«اصحب من إذا صحبته زانك وإذا خدمته صانك وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدق قولك وإن صُلت شدّ صولتك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن بدت عنك ثلمة سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكتّ عنه ابتدأك، وإن نزلت إحدى الملمّات به ساءك».[٥]

---

١. *بحارالأنوار*: ٢ / باب ١٤، ح ١٠.

٢. المصدر: ١ / باب ٣، ح ٥.

٣. *غررالحكم*: ٢٠٥/٤.

٤. المصدر: ٤٢٩.

٥. *بحارالأنوار*: ٤٤ / باب ٢٢، ح ٦٩.

٧. ويحدد الإمام محمد الباقر عليه السلام شروطاً للصداقة قائلاً:

«اتّبع من يبكيك وهو لك ناصح، ولا تتبع من يضحكك وهو لك غاش وسَتُردّون على الله جميعاً فتعلمون».[1]

ويقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«أحبّ إخواني إليّ من أهدى عيوبي إليّ».[2]

---

١. المصدر: ٧٥ / باب ٤٨، ح ٣١.

٢. المصدر: ٧٤ / باب ١٩، ح ٤.

الخُلاصة

نظراً لأهمّية الصديق ودوره في سلوك المرء وأخلاقه، فقد جاء في الروايات ما يشجع على اتّخاذ الأصدقاء وفق شروط أساسية في طليعتها الإيمان والتقوى

الأسئلة

١. ما هو المعيار الأساسي في انتخاب الصديق المنشود؟

٢. ما هي الشروط والمقوّمات الأساسية التي ينبغي توفرها في الأصدقاء؟

الدرس الثالث والعشرون

الصديق والجليس (٢)

تعلّمنا في الدرس السابق أنّ على المرء أن يتحرّى الدقّة في انتخاب الأصدقاء والجلساء، لما في ذلك من أثر في سلوكه وحياته.

وكذا فإنّ علينا أن ننتخب الصديق الذي له تأثير إيجابي وبنّاء في حياتنا، وفي هذا الدرس سنتعرّف على مواصفات الأشخاص الذين ينبغي إنّ نحذرهم ولا نتخذهم أصدقاء أو جلساء.

يجب أن نعرف أنّنا لسنا أحراراً في المخالطة، ولسنا أحراراً في أن نتكلّم ما نشاء، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

«ليس لك إنّ تَقْعد مع من شئت؛ لأنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.[1] وليس لك إنّ تتكلّم بما شئت؛ لأنّ الله عزّ وجل قال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.[2] ولأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «رحم الله عبداً قال: خيراً فغنم أو صمت فسلم». وليس لك إنّ

---

١. الأنعام:٦٨.

٢. الإسراء:٣٦.

تسمع ما شئت؛ لأنّ الله عزّ وجل يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.[1]

وتصل تأثيرات الصديق الفاسق حدوداً خطيرة تؤدّي بالإنسان إلى الدمار وإلى العذاب الإلهي.

يروي سليمان الجعفري: سمعت أبا الحسن الإمام الرضا عليه السلام يقول لأبي:

مالي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب؟ فقال: إنّه خالي، فقال: انه يقول في الله قولاً عظيماً: يصف الله ولا يوصف، فإمّا جلست معه وتركتنا، وإمّا جلست معنا وتركته. فقلت: هو يقول ما شاء، أي شيء عليّ منه إذا لم أقل ما يقول؟! فقال أبو الحسن عليه السلام: «أما تخاف أنّ تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً؟ أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى عليه السلام وكان أبوه من أصحاب فرعون، فلما لحقت خيل فرعون موسى عليه السلام، تخلّف عنهم ليعظ أباه فيلحقه بموسى عليه السلام، فمضى أبوه وهو يراغمه حتّى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً، فأُتي موسى الخبر فسأل جبرئيل عن حاله، فقال له: غرق رحمه الله ولم يكن على رأي أبيه، لكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع».[2]

والآن من هم الأشخاص الذين ينبغي ألاّ نجالسهم ونخالطهم؟ إنّ الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة تلقي الضوء الكاشف ويمكن تقسيمهم إلى خمسة فرق:

الفريق الأوّل: الأشخاص الذين يسخرون من الدين يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِياءَ﴾[3]، فهؤلاء لا يجوز لنا أنّ نتخذهم أصدقاء أبداً؛ ذلك أنّهم يدوسون على أوّل شروط الصداقة وهو الاحترام المتبادل.

---

١. الإسراء:٣٦.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٤ / باب ١٤، ح٣٩.

٣. المائدة:٥٧.

الفريق الثاني: الأشخاص الذين لا يتورعون من التجاوز على حرمة النبي صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام، وقد ورد في السيرة النبوية الشريفة أن "عقبة بن أبي معيط" كان يكثر من مجالسة النبي صلى الله عليه وآله، فدعاه إلى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتّى ينطق بالشهادتين، ففعل، فعاتبه صديقه ابن أبي خلف قائلاً له: صبأت؟! فقال: لا والله، ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له، فقال (الصديق): لا أرضى منك إلاّ أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه، فوجده ساجداً في دار الندوة ففعل، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: لا ألقاك خارج مكّة إلاّ علوت رأسك بالسيف فأُسر يوم بدر فأمر علياً فقتله. وقد نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾.[1]

وسيكون مصير عقبة وأمثاله هذا المصير يوم القيامة بسبب ما جنوا على أنفسهم من اتّخاذهم أصدقاء سوء.

ولنا إنّ نتصوّر هذا المشهد في يوم القيامة عندما يقوم أحدهم يعض إصبع الندامة؛ لأنّه اتّخذ فلاناً خليلاً فخدعه وأضله وانحرف به عن طريق الحقّ والكمال.

يقول الإمام الصادق عليه السلام محذراً من أهل النصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام:

«إذا ابتليت بأهل النصب ومجالستهم فكن كأنّك على الرّضف حتّى تقوم، فإنّ الله يمقتهم ويلعنهم، فإذا رأيتهم يخوضون في ذكر إمام من الأئمة فقم فإن سخط الله ينزل هناك عليهم».[2]

وعنه عليه السلام أيضاً:

«من قعد عند سبّاب لأولياء الله فقد عصى الله».[3]

---

١. الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٤ / باب ١٤، ح٥.

٣. المصدر: ٧٤ / باب ١٤، ح٥.

وعنه عليه السلام أيضاً:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدنّ في مجلس يعاب فيه إمام أو ينتقص فيه مؤمن».[١]

الفريق الثالث: الذين تحرم مجالستهم ومخالطتهم، وهم أهل البدع، والذين يبثون الشكوك في أُسس الدين وأُصوله، يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«إذا رأيتم أهل الريب و البدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة».[٢]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم».[٣]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المرء على دين خليله وقرينه».[٤]

الفريق الرابع: هم الأشرار والفسّاق وأهل المعاصي والفجور، يقول سيّدنا علي عليه السلام:

«لا ينبغي للمرء المسلم أن يؤاخي الفاجر، فإنّه يزيّن له فعله، ويحبّ أن يكون مثله ولا يعينه على أمر دنياه ولا أمر معاده ومدخله إليه ومخرجه من عنده شين عليه».[٥]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«لا ينبغي للمرء المسلم أن يؤاخي الفاجر ولا الأحمق ولا الكذاب».[٦]

---

١. المصدر: ٧٤ / باب ١٤، ح٤٨.

٢. المصدر: ٧٤ / باب ١٤، ح٤١

٣. *الكافي*: ٦٤٢/٢.

٤. *بحارالأنوار*: ٧٤ / باب ١٤، ح ٤٠.

٥. *الكافي*: ٦٤٠/٢، ح ٢.

٦. المصدر: ح ٣.

ويقول عليه السلام:

«لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره».[1]

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«مجالسة الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار، ومجالسة الأخيار تلحق الأشرار بالأخيار، ومجالسة الأبرار للفجار تلحق الأبرار بالفجّار، فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه، فإن كانوا أهل دين الله فهو على دين الله، وإن كانوا على غير دين الله فلا حظ له من دين الله. إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤاخينّ كافراً ولا يخالطنّ فاجراً، ومن آخى كافراً أو خالط فاجراً كان كافراً فاجراً».[2]

ويقول الإمام عليه السلام أيضاً:

«إيّاك ومصاحبة الفسّاق، فإنّ الشرّ بالشرّ ملحق».[3]

الفريق الخامس: الأشخاص الذين ينبغي اجتنابهم في المجالسة والمخالطة، وهم أهل اللهو والمجون والحمقى والكذابين، يقول الإمام علي عليه السلام:

«ينبغي للمسلم أن يجتنب مؤاخاة ثلاثة: الماجن، والأحمق، والكذاب».[4]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«قال أبي علي بن الحسين عليه السلام: يا بني انظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم من طريق. فقلت: يا أبي من هم؟ عرّفنيهم. قال: إيّاك ومصاحبة الكذاب فإنّه بمنزلة السراب يقرّب لك البعيد ويبعّد لك القريب، وإيّاك ومصاحبة الفاسق فإنّه بايعك بأكلة أو أقلّ من ذلك، وإيّاك ومصاحبة البخيل فإنّه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، وإيّاك ومصاحبة الأحمق

---

١. *بحارالأنوار*: ٧٤ / باب ١٤، ح٣٨.

٢. المصدر: ٧٤ / باب ١٤، ح٣١.

٣. *بحارالأنوار*: ٣٣ / باب ٢٩، ح٧٠٧.

٤. *بحارالأنوار*: ٧٤ / باب ١٤، ح٤٣.

فإنّه يريد أن ينفعك فيضرك، وإيّاك ومصاحبة القاطع لرَحِمِه فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع».[١]

ثُمّ تلا الإمام الآيات الكريمة من سورة محمّد: (٢٢،٢٣) وسورة الرعد: (٢٥) وسورة البقرة: (٢٧).[٢]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«أربعة يذهبن ضياعاً: مودّة تمنحها من لا وفاء له...».[٣]

ويقول الإمام الباقر عليه السلام:

«لا تقارن ولا تؤاخ أربعة: الأحمق والبخيل والجبان والكذاب. أمّا الأحمق فانّه يريد أن ينفعك فيضرّك، وأمّا البخيل فإنّه يأخذ منك ولا يعطيك، وأمّا الجبان فإنّه يهرب عنك وعن والديه، وأمّا الكذّاب فإنّه يَصدُقُ ولا يُصدَّق».[٤]

---

١. المصدر: ٧٤ / باب ١٤، ح٢٩.

٢. راجع: الدرس الرابع.

٣. *بحارالأنوار*: ٢ / باب١٣، ح ٢١٠.

٤. *بحارالأنوار*: ٧٤ / باب ١٤، ح٨.

الخُلاصة

إنّ أدبيات الإسلامِ توصي المؤمنين بعدمِ مجالسة الفسّاق والكذابين والحمقى، وكذا أهل التشكيك في الدين والعقيدة الإسلامية.

الأسئلة

١. لماذا لا يمكن مدّ جسور الصداقة مع الجميع دون استثناء؟
٢. ما هي عواقب مجالسة أصحاب العقائد الفاسدة؟
٣. ما هي العبرة من قصّة عقبة بن أبي معيط؟

الدرس الرابع والعشرون

الغيبة (١)

بيّنا في الدرس السادس أنّ النظامِ الاجتماعي في الإسلامِ ينهض على منظومة من الأُصول والمعايير الأخلاقية، كما ذكرنا أنّ الأُصول الأخلاقية هي مجموع الصفات والخصال الحسنة التي تعدّ من شروط السلوك والأدب الاجتماعي للفرد المسلم. وقد درسنا طائفة من تلك الصفات وهي: التواضع، الإنصاف، البشاشة، الوفاء بالعهد و...

وإلى جانب هذه من الصفات الإيجابية توجد صفات وخصال سلبية تسيء إلى العلاقات الاجتماعية وتلحق بها أكبر الأضرار، ولذا فإنّ اجتنابها يعدّ هو الآخر جزءاً من شروط الآداب الاجتماعية في العقيدة الإسلامية.

ومن هنا فإنّ الابتعاد عن هذه الصفات واجب شرعي.

وفي ابتعاد المسلمين عن هذه الصفات والخصال يعزز من العلاقات الاجتماعية ويرسي في المجتمع المسلم حالة من الصفاء والنقاء والانسجامِ.

وسنتناول في هذا الدرس أهمّ وأبرز هذه الطائفة من الصفات السلبية وهي الغيبة.

البحث الأوّل: تعريف الغيبة

الغيبة ذكر الغائب بما يكرهه، فعندما نتعرّض إلى عيوب إنسان ما في غيابه يعني أنّنا نغتابه، والعيوب التي نعددها قد تكون أخلاقية أو دينية وقد تكون جسمية، يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«الغيبة ذكرك أخاك بما يكرهه. قيل له: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته».[1]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه».[2]

فالغيبة أن تذكر أخاك وتعدد عيوبه التي سترها الله عن الناس، وهذا ما يدخل في قلبه الألم.

يقول الإمام الكاظم عليه السلام:

«من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه ممّا عرفه الناس لم يغتبه، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه ممّا لا يعرفه الناس اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بَهَته».[3]

والبهتان أسوأ من الغيبة؛ لأنّه ذكر لعيوب لا وجود لها في ذلك الإنسان.

والغيبة تتحقّق بوجود هدف تسقيط الإنسان أمام الآخرين، أمّا عندما نذكر عيوب إنسان ما أمام طبيب نفساني بهدف معالجته فليس ذلك من الغيبة، كما أنّ ذكر عيوب الكفّار من أعداء الإسلام لا يعدّ غيبة كذلك، ولا يعدّ من الغيبة إنّ نذكر مساوئ إنسان لا يعرفه الحاضرون، كما لا يعدّ منها أيضاً ذكر مساوئ من يعلن بها، مثلاً عندما نقول: إنّ فلاناً يشرب الخمر والناس يعرفون ذلك عنه؛ لأنّه يتناول الخمرة في العلن.

---

١. *بحار الأنوار*: ٢٢٢/٧٢.

٢. المصدر: ٧٥ / باب ٦٦، ح٧.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٦٦، ح٦.

البحث الثاني: حرمة الغيبة

إنّ الآيات القرآنية الكريمة والروايات الواردة من أهل البيت عليهم السلام تصوّر بوضوح بشاعة الغيبة، وعندما نقرأ الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلاَيَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.[١]

إنّ ممارسة الغيبة من البشاعة ما عبر عنها القرآن الكريم بهذا المشهد الفظيع، وهو أن يأكل الإنسان لحم أخيه ميتاً.

ويقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».[٢]

فالغيبة مساس بكرامة الإنسان المؤمن وانتهاك لحرمته، وكما أنّ القتل جريمة بشعة؛ لأنّه عدوان على حياة الإنسان، فكذلك الغيبة عدوان على كرامته وسمعته.

ولذا هي جريمة بشعة وذنب كبير. ومن هنا يجب على المسلم إذا ما سمع إنساناً يغتاب مؤمناً إنّ يهب لنصرة ذلك الغائب والدفاع عن كرامته، يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«من أذلّ عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينتصر له فلم ينصره أذلّه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق».[٣]

أمّا من يدافع عن حرمة أخيه المؤمن أمام المغتابين فله الأجر الكبير، يقول سيّدنا ونبينا صلى الله عليه وآله:

«من ردّ عن عرض أخيه بالغيب، كان حقّاً على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة».[٤]

---

١. الحجرات:١٢.

٢. *كنز العمال*: ١/ ١٥٠، ح٧٤٧.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٦٦، ح١.

٤. *بحار الأنوار*: ٢٢٦/٧٢، باب ٦٦.

ويقول صلى الله عليه وآله أيضاً:

«من ذبّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقّاً على الله أن يعتقه من النار».[١]

ولبشاعة الغيبة عبر عنها القرآن الكريم بمشهد بشع فريد ولم يستخدم مثله مع أيّ من المعاصي والذنوب الأُخرى.

وقد جاء في الحديث النبوي الشريف:

«من أكل لحم أخيه في الدنيا قرّب إليه يوم القيامة فيقال: كله ميتاً كما أكلته حيّاً فيأكله ويكلح ويضجّ».[٢]

ويقول صلى الله عليه وآله في حديث الإسراء والمعراج:

«مررت ليلة أُسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم».[٣]

ويقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله أيضاً:

«إيّاكم والغيبة، فإنّ الغيبة أشدّ من الزنا، أنّ الرجل قد يزني فيتوب، فيتوب الله عليه، وأنّ صاحب الغيبة لا يغفر له حتّى يغفر له صاحبه».[٤]

ويقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«إنّ الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ستّ وثلاثين زنيّة يزنيها الرجل، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم».[٥]

والغيبة من مصاديق إشاعة الفحشاء في المجتمع، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[٦]

---

١. *المحجة البيضاء*: ٥/٢٦١.

٢. *فتح الباري*: ١٠/٣٩٢.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٦٦، ح ١.

٤. المصدر.

٥. *المصدر*: ٧٥ / باب ٦١، ح ١.

٦. النور: ١٩.

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته إذناه فهو من الذين قال الله عزّ وجلّ فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾.[1]

ومعنى الحديث: إنّ رأى في أخيه ما لم يره الناس وسمع منه ما لم يسمعه الناس، ثُمّ نشره وهذا معنى الغيبة، وإشاعة الفحشاء والغيبة طعام كلاب النار، يقول سيّدنا علي عليه السلام:

«اجتنب الغيبة فإنّها إدام كلاب النار».[2]

ومرّ الإمام الحسين عليه السلام برجل يغتاب فقال له:

«يا هذا كف عن الغيبة فإنّها إدام كلاب النار».[3]

وعن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام قال:

«إيّاك والغيبة فإنّها إدام كلاب النار، واعلم أنّ من أكثرَ من ذكر عيوب الناس شهد عليه الإكثار أنّه إنّما يطلبها بقدر ما فيه».[4]

وهذا الحديث الشريف يكشف عن حالة نفسية في نفوس المغتابين والمصابين بهذا المرض، وهو شعورهم بالنقص ووجود العيوب في شخصياتهم فهم يحاولون إشاعتها بين الناس وتبرير وجودها فيهم، ومن هنا ورد عن سيّدنا علي عليه السلام قوله:

«ذوو العيوب يحبّون إشاعة معايب الناس ليتسّع لهم العذر في معائبهم».[5]

والغيبة تعمل عمل النار فهي تأكل الحسنات يقول الصادق عليه السلام:

«الغيبة حرام على كلّ مسلم وأنّها لتأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب».[6]

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٦٦، ح ٢.

٢. المصدر: ح ١٣.

٣. المصدر: ٧٨ / باب ٢٠، ح ٢.

٤. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٦٦، ح ٨

٥. غرر *الحكم*: ٣٨/٤.

٦. كشف *الريبة*: ٩.

وهو مرض سرطاني خطير يقضي على كيان المغتاب وشخصيته، يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه».[١]

وعنه صلى الله عليه وآله قال:

«يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته، فيقول: إلهي ليس هذا كتابي، فإنّي لا أرى فيها طاعتي؟! فيقال له: إنّ ربّك لا يضلّ ولا ينسى، ذهب عملك باغتياب الناس، ثُمّ يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيها طاعات كثيرة. فيقول: إلهي ما هذا كتابي! فإنّي ما عملت هذه الطاعات. فيقال له: لأنّ فلاناً اغتابك فدفعت حسناته إليك».[٢]

وقد جاء في الحكايات أنّ لأحدهم قيل له: إنّ فلاناً اغتابك فابتسم وأمر بإرسال طبق من الحلوى إليه، وأن يقال له: هذه الحلوى جزاء ما أرسلت إلينا من الحسنات!

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٦٦ ح ١.

٢. المصدر: ٧٥ / باب ٦٦، ح ٥٣.

الخُلاصة

الغيبة ذكر عيوب الناس في غيابهم. والإسلام يعدّ الغيبة عدواناً على كرامة الإنسان المسلم وانتهاك لحرمته، ومصداقاً لإشاعة الفحشاء في المجتمع الإسلامي، والغيبة من الذنوب الكبيرة كالربا والزنا و الكذب وغيرها.

الأسئلة

١. عرّف الغيبة.

٢. اذكر شرطين من شروط الغيبة.

٣. كيف صوّر القرآن الغيبة، ولماذا؟

٤. لماذا أوجب النبيﷺ الدفاع عن كرامة المؤمن؟

الدرس الخامس والعشرون

الغيبة (٢)

البحث الثالث: بواعث الغيبة

عرفنا بشاعة الغيبة وقبحها وأنّها من كبائر الذنوب والمعاصي، وعرفنا أيضاً آثارها الهدّامة في الحياة الاجتماعية، وعواقبها على الإنسان المصاب بها في الآخرة.

وفي هذا الدرس نتناول بواعث الغيبة، ونكتشف الوسائل في اجتنابها والاحتراز منها.

لقد حدد علماء الأخلاق مجموعة من الأسباب في هذه الظاهرة المرضية الخطيرة:

١. دفع العذاب الوجداني: يسعى البعض من الناس إلى الكشف عن عيوب الآخرين في صفاتهم وأفعالهم في معالجة خاطئة لما يشعر به من العذاب الوجداني، بسبب ممارساته الخاطئة وعيوبه وصفاته الذاتية.

فالمغتاب إنسان يعاني من تأنيب الضمير، ولكنّه بدل معالجة نفسه وإصلاحها يتّجه إلى التنقيب والبحث وتسقط عيوب غيره، وهو يفعل هذا حتّى يوحي إلى نفسه بأنّه ليس الوحيد الذي يعاني من العيوب، وليس الوحيد في ممارساته الخاطئة فهناك الكثيرون ممّن يشاركونه في ذلك!

إنّ المغتاب إنسان مصاب بمرض أخلاقي وهو يضيف إلى عيوبه عيباً آخر، وإلى ذنوبه ذنباً كبيراً غيرها.

٢. التباهي: يقوم البعض ومن أجل إظهار فضله ومنزلته بتحقير الآخرين والحط من شأنهم ومنزلتهم، فالمغتاب في هذه الحالة يحاول التباهي بنفسه وأنّه ذوشأن فهو لا يرتكب ما ارتكبه الآخرون، وعادة ما يخفق هذا الإنسان المريض؛ لأنّ الناس لا ينظرون إليه نظرتهم إلى إنسان يتمتّع بالكمال، بل إلى إنسان يتباهى بنفسه فقط.

٣. السخرية والاستهزاء: إنّ كثيراً من مجالس الغيبة تهدف إلى السخرية من الناس والاستهزاء بهم، وسوف نتعرّض إلى هذه الظاهرة في الدرس السابع والعشرين.

٤. الحسد: الحسد من بواعث الغيبة، فعندما يشعر أحدهم بالنقص وبضعف في شخصيته، فإنّه ومع الأسف لا يهب إلى استكمال نواقصه وتعزيز شخصيته، وإنّما يدفعه شعوره بالحقارة إلى حسد الآخرين وبالتالي إلى تسقط عيوبهم والبحث عن نواقصهم واستغابتهم بهدف الحط من شأنهم بين الناس.

٥. مجاراة الآخرين: يتجاذب الناس في المحافل والمجالس أطراف الحديث، بعضهم يثني على فلان ويصف أعمال فلان، وبعض يذكر عيوب إنسان ما، ولكي يجد المرء نفسه منسجماً مع الجميع، فإنّه يجاري جلساءه فيذكر عيوباً يعرفها عن بعض الناس، وهو يتصوّر أنّ المطلوب منه ذلك وإذا لم يفعل فإنّ أهل المجلس سوف ينبذونه ولا يعيرونه اهتماماً، غافلاً عن أنّ مجاراة الآخرين في الأحاديث مباحة إلى حدود ارتكاب الحرام، والغيبة من الكبائر ولا يجوز للمسلم أن يجاري الناس في أحاديث الغيبة.

وجاء في القرآن الكريم أنّ أهل الجنّة يتساءلون ويسألون أهل النار عن أعمالهم التي جرّتهم إلى هذا المصير.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾.[1]

٦. إبطال المفعول: عندما يشعر المرء باحتمال قيام أحدهم بذكر سوءاته لدى شخص أو أشخاص، فإنّه ومن أجل إبطال مفعول كلامه والتشويش على حديثه ومعلوماته، فإنّه يقوم باغتيابه أمام السامعين.

٧. التظاهر بالدهشة: يقوم بعضهم بإظهار دهشته من فلان قائلاً: إنّه لم يكن يتصوّر أنّه سوف يرتكب هذه المعصية أو تلك، ومن الواضح أنّه يريد الحط من شأن ذلك الإنسان للسببين التاليين:

أوّلاً: إنّه يستطيع عدم ذكر اسم ذلك الإنسان.

ثانياً: لو أنّه مندهش من ارتكاب الذنب لما قام هو بارتكاب الغيبة، وهي من الكبائر.

٨ التظاهر بالألم: وهو طريقة مشابهة للسابقة، حيث يقوم المغتاب بالتظاهر بالألم لحال فلان؛ لأنه ارتكب ما ارتكب من الذنوب.

فالمغتاب هنا يريد من وراء ذلك الحطّ من شأن ذلك الإنسان وفضحه وإظهار نفسه كإنسان فاضل.

البحث الرابع: موارد جواز الغيبة

بالرغم من أنّ الغيبة من الكبائر غير أنّه توجد موارد تخرج عن دائرة الغيبة، وهي:

المورد الأوّل: التظلم، يستطيع المرء إذا تعرّض للظلّم أن يتظلّم ويشتكي بهدف رفع الظلم، وهذا لا يحصل إلاّ بذكر أفعال من ظلمه، قال تعالى: ﴿لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾.[2]

---

١. المدثر: ٤٠ ـ ٤٥.

٢. النساء:١٤٨.

الله سبحانه وتعالى لا يحبّ الجهر بالسوء، أمّا إذا تعرّض الإنسان إلى ظلم فإنّ قيمة العدالة أعلى من غيبة الظالم حتّى لو كان مسلماً، وفي هذا إجراء ردعي للظالم فلا معنى للحرمة هنا في استغابته.

المورد الثاني: الإرشاد والمشورة، في موارد الاستشارة وطلب الإرشاد يسوغ للمرء إنّ يذكر بعض العيوب، فمثلاً عندما يروم أحدهم الزواج فإنّ التحقيق في شخصية الطرفين الرجل والمرأة أمر جائز، ذلك أنّ مصلحة المجتمع أهمّ من مصلحة الفرد، وعندما تتعارض المصلحتان تسقط من الاعتبار مصلحة الفرد.

المورد الثالث: التحذير، عندما يقوم فرد أو مجموعة من الأفراد بانتهاك الذوق الأخلاقي للمجتمع، ويكون في تركهم فساد للمجتمع، فإنّ التعرّض لهم وبيان فسادهم وعيوبهم أمر واجب، ولا يعدّ ذلك من الغيبة، يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

أ ترغبون عن ذكر الفاجر حتّى لا يعرفه الناس؟! اذكروه بما فيه يحذره الناس».[١]

المورد الرابع: الحؤول دون وقوع المنكرات، من أجل الحفاظ على النظام الأخلاقي للمجتمع ومكافحة المنكرات، والفساد الاجتماعي يجوز بل يجب على الفرد المسلم إحاطة المراجع القانونية والمسؤولية بارتكاب عمل منكر ما وفي هذا ما يساعد على تطهير الجوّ الاجتماعي من الفساد.

المورد الخامس: الجرح والتعديل، في موارد مثل نقل الحديث وروايته، وكذا مسألة الشهود في المحاكم القضائية وغيرها حيث العدالة والحقّ هي الهدف المنشود كلّ ذلك يستلزم التأكّد من أمانة الرواة والشهود وبيان خصائصهم النفسية والأخلاقية، وفي هذا مسوغ قانوني وشرعي ولا مجال للغيبة فيه أبداً.

المورد السادس: الشهرة، يشتهر بعض الأفراد بلقب ما بحيث لايعرفه الكثير إلاّ به،

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٦٦، ح ١.

فقد يرد اسم فلان، ولكن أحداً لا يعرفه إلاّ إذا قلت: الأعور، أو الأعرج، فبالرغم من أنّ إطلاق هذه الألقاب في بدئها كان حراماً على من أطلقها؛ لأنّه من باب التنابز بالألقاب، ولكن عندما تصبح ألقاباً يعرفون بها ولا يعرفون بغيرها حينئذٍ يجوز لمن أراد أن يعرّفهم أن يذكرهم بهذه الألقاب ولا يعدّ ذلك غيبة.

المورد السابع: أهل البدع، أنّ فضح أهل البدع من الذين يريدون إغواء الناس وحرفهم عن الطريق المستقيم واجب شرعي كلّ مسلم، ولا يعدّ هذا العمل من الغيبة. أنّ أصحاب البدعة يهدفون إلى هدم الدين، والسماح لهم أو السكوت عنهم حرام.

المورد الثامن: المعلن بالفسق، المعلنون بالفسق والفجور فريق آخر يجوز اغتيابهم؛ ذلك أنّهم لا يخفون أعمالهم القبيحة فلا غيبة لهؤلاء الأفراد؛ يقول نبيّنا محمّد ﷺ:

«ثلاثة ليس لهم غيبة: الإمام الجائر، والفاسق المعلن بفسقه، والمبدع الّذي يدعو الناس إلى بدعته».[1]

وعنه ﷺ قال:

«إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة ولا غيبة».[2]

البحث الخامس: الاستماع للغيبه

إنّ اغتياب الناس عمل قبيح جداً، وقد تحدّثنا عن ذلك مفصلاً، وهناك عمل لا يقلّ قبحاً عن الاغتياب وهو الاستماع للغيبة والإصغاء للمغتابين، يقول نبيّنا محمّد ﷺ:

«السامع للغيبة أحد المغتابين».[3]

---

١. *الدر المنثور*: ٩٧/٦.

٢. المصدر: ٧٥ / باب ٥٧، ح ٣٣.

٣. المصدر: ٧٥ / باب ٦٦، ح ١.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«الغيبة كفر والمستمع لها والراضي بها مشرك».[١]

وقد حثت الشريعة الإسلامية على ردّ الغيبة والدفاع عن حرمة المؤمن في المجالس إذا أقدم أحدهم على اغتياب مؤمن ما.

وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله قوله:

«من ردّ عن أخيه غيبة سمعها في مجلس ردّ الله عنه ألف باب من الشرّ في الدنيا والآخرة».[٢]

إنّ الدفاع عن حرمة المؤمنين وردّ الغيبة أمر تشجع عليه الشريعة الإسلامية.

وفي حالة عدم تمكّن الفرد من ذلك، فالواجب عليه إنّ يغادر المجلس وحتّى لا يكون مستمعاً لها فيكون شريكاً في الذنب.

---

١. *المستدرك*: ٩ / باب ١٣٦، ح ١٠٤٦٢.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٦ / ب ٦٧، ح ٣٠.

الخُلاصة

إنّ بواعث الغيبة الأساسية لدى المغتابين هي: التباهي، السخرية من آخرين، مجاراة المتحدثين، الحطّ من شأن الناس ومحاولة دفع عذاب الضمير والوجدان.

أنّ طلب المشوره والإرشاد، والتحذير ومكافحة المنكرات وكلّ ما من شأنه دفع الفساد الاجتماعي لا يعد غيبة؛ لأنّ مصالح المجتمع مقدمة على مصالح الفرد.

الاستماع إلى الغيبة حرام وهو عمل قبيح لا يقلّ في قبحه عن الاغتياب نفسه.

الأسئلة

١. اشرح باختصار بعض بواعث الغيبة.

٢. لماذا تجوز الغيبة في حالة وقوع الظلم وطلب الانصاف؟

٣. لماذا يجب فضح أهل البدع والانحراف عن الدين؟

الدرس السادس والعشرون

البهتان وسوء الظنّ

البهتان: واحدة من الصفات الذميمة في العلاقات الاجتماعية؛ وقد تعلّمنا في الدرس الماضي أنّ الغيبة هي ذكر عيوب الآخرين وفضحهم بين الناس، والاتهام أو البهتان هي ذكر عيوب لا وجود لها وإلصاقها بالناس. من هنا ندرك أنّ البهتان أكثر إثمّاً من الغيبة، وأنّ من يفعل ذلك مع إخوانه المؤمنين يكون أشدّ عذاباً يوم القيامة.

يقول القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.[1]

ويقول نبيّنامحمّد صلى الله عليه وآله:

«من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله تعالى يوم القيامة على تلّ من نار حتّى يخرج ممّا قاله فيه».[2]

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الإيمان من قلبه، كما ينماث الملح في الماء».[3]

---

١. النساء:١١٢.

٢. *بحارالأنوار*: ٧٥ / باب ٦٢، ح٥.

٣. المصدر: ح ١٩.

إنّ الايمان يتناقض مع هذه الحالة السلوكية في الإنسان، ومن كان مؤمناً حقّاً، فإنّه لايتّهم أخاه ولا يبهته.

ويأتي الاتهام على مستويات ثلاثة، هي:

الأوّل: إطلاق الاتهام دون التأكّد من حقيقة الأمر.

الثاني: إطلاق الاتهام مع اليقين بعدم وجود أساس له.

الثالث: أن يتّهم المرء الآخرين بعيوبه هو.

وبالرغم من أن جميع هذه المستويات تشترك في القبح، ولكن من الواضح وجود فوارق في شدّة القبح.

والاتّهام يعني انتهاك حرمة المؤمن والتجاوز على كرامته الشخصية، وقد كفلت الشريعة للمسلم الإحساس بالأمن الذاتي.

إنّ الإحساس بالأمن الذاتي يوفر فرصة التكامل لجميع أفراد المجتمع، وعندما تشيع ظاهرة البهتان بين الأفراد، فإنّ فرص التكامل الاجتماعي سوف تتضاءل ويتراجع المجتمع أخلاقياً.

وفي الوقت الذي تمنع الشريعة الإسلامية الاتهّام وتشدّد النكير على البهتان، فإنّها تحث المسلم على التأبي بنفسه عن مواضع الشبهة والاتّهام، وقد جاء عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله قوله:

«أولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة».[1]

ويقول سيّدنا علي عليه السلام:

«من وقف موقف التهمة فلا يلومنّ إلاّ نفسه».[2]

---

١. *بحارالأنوار*: ٧٥ / باب ٤٦، ح٣.

٢. المصدر: ٩١/٧٢.

وجاء عن الإمام الصادقعليه السلام:

«قال أبي: يا بنيَّ من يصحب صاحب السوء لا يُسلَم، ومن يدخل مداخل السوء يُتّهم، ومن لا يملك لسانه يندم».[١]

سوء الظنّ

من الصفات الذميمة في العلاقات الاجتماعية «سوء الظنّ» وهي النظرة السلبية التي ينظرها المرء إلى الآخرين، فيظنّ فيهم ما ليس فيهم، وسوء الظنّ صفة مذمومة، وإضافة إلى كونه معصية، فإنّه منشأ لمعاصي أُخرى.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾.[٢]

والآية الكريمة تشير إلى أنّ بعض الظنون لا أساس لها، وهذا الظنّ الذي لايطابق الحقيقة إثم. وسوء الظنّ صفة ذميمة؛ لأنّها تؤدّي إلى الغيبة؛ ذلك أنّ المبتلى بسوء الظنّ يندفع إلى التجسس والتحقيق في ما ذهبت إليه الظنون ومن وسائل التجسس الغيبة؛ لأنّ الحصول على المعلومات المطلوبة ستكون عن طريق الاستفسار والسؤال من هذا وذاك يعني هذا تسقّط العيوب وذكر المؤمن بما يكره، كما أنّ أدبيات الإسلام في مقابل سوء الظنّ تقول بـ «أصالة الصحّة» يعني أنّ الأصل في العلاقات الاجتماعية حسن الظنّ بالآخرين، وقد ورد في أحاديث أهل البيتعليهم السلام ما يؤكّد هذا الموضوع، يقول الإمام عليعليه السلام:

«ضع أمر أخيك على أحسنه حتّى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنّنَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً».[٣]

---

١. المصدر: ٧٥ / باب ٤٦، ح١.

٢. الحجرات:١٢.

٣. *بحارالأنوار*: ٧٤ / باب ١٣، ح٧.

نتائج سوء الظنّ

تتضمّن أحاديث أهل البيت عليهم السلام إشارات إلى النتائج الحاصلة عن سوء الظنّ:

١. قال الإمام علي عليه السلام:

«من لم يحسن ظنّه استوحش من كلّ أحد».[١]

يعني أنّ المرء المصاب بسوء الظنّ سوف يخفق في إقامة علاقات طبيعية مع الناس؛ لأنّ الإنسان عندما يظنّ سوءاً بالآخرين فلن يستطيع أن يمدّ يد الصداقة والأُخوة، وسوف يظلّ وحيداً تتنازعه الوساوس والأوهام.

٢. قال الإمام علي عليه السلام:

«سوء الظنّ يفسد الأُمور ويبعث على الشرور».[٢]

أنّ الثقة المتبادلة وحسن الظنّ من عوامل النجاح في الشؤون الاجتماعية؛ لأنّ غياب الثقة وشيوع سوء الظنّ بين الأفراد سيفشل المشاريع الاجتماعية.

٣. يشير الإمام علي عليه السلام أيضاً إلى أنّ سوء الظنّ سوف يقضي على حالة الصفاء والسلام بين الأصدقاء يقول عليه السلام:

«من غلب عليه سوء الظنّ لم يترك بينه وبين خليله صلحاً».[٣]

٤. إنّ سوء الظنّ له آثار سيئة على عبادة الإنسان يقول عليه السلام في هذا المضمار:

«إيّاك إنّ تسيء الظنّ، فإنّ سوء الظنّ يفسد العبادة ويعظّم الوزر».[٤]

ويقول أيضاً:

«لا إيمان مع سوء الظنّ».[٥]

---

١. *غررالحكم*: ٤٤٢/٥.

٢. *غررالحكم*: ١٣٢/٤.

٣. المصدر: ٤٠٦/٥.

٤. المصدر: ٣٠٨/٢.

٥. المصدر: ٣٦٢/٦.

وفي مقابل هذه الأحاديث نجد أحاديث أُخرى تشيد بحسن الظنّ وتشجع عليه، يقول الإمام علي عليه السلام:

«حسن الظنّ من أحسن الشيم وأفضل القسَم».[١]

وعنه عليه السلام أيضا:

«حسن الظنّ راحة القلب وسلامة الدين».[٢]

يعني أنّ الحالة النفسية للإنسان الذي يحسن الظنّ بإخوانه ستكون طيبة، وسيكون المرء معافى من الأمراض الروحية، ويقول عليه السلام أيضاً:

«حسن الظنّ يخفّف الهم وينجي من تقلّد الإثمّ».[٣]

ويقول عليه السلام أيضاً:

«من حسن ظنّه بالناس حاز منهم المحبّة».[٤]

وهذا الحديث الشريف يشير إلى أنّ حسن الظنّ سيترك لدى الناس آثاراً طيبة تعود على الإنسان بالمحبّة والخير.

وحسن الظنّ من ثُمّار الإيمان الحسن وسلامة النفسية، يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«حسن الظنّ أصله من حسن إيمان المرء وسلامة صدره».[٥]

وجاء في الأثر عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله قوله:

«احسنوا ظنونكم بإخوانكم تغتنموا بها صفاء القلب ونقاء الطبع».[٦]

إنّ سلامة الصدر وصفاء القلب ونقاء الطبع كلّها مفردات تعكس السلامة

---

١. *غرر الحكم*: ٣٨٦/٣.

٢. المصدر: ٣٨٤/٣.

٣. المصدر: ٣٨٥/٣.

٤. المصدر: ٣٧٩/٥.

٥. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٧٢، ح١٢.

٦. المصدر.

النفسية والروحية، من هنا نعرف أنّ حسن الظنّ يزيد في قوّة العلاقات الودّية بين أفراد المجتمع بعكس سوء الظنّ الذي يؤدّي إلى تفاقم الأحقاد والضغائن بين الأفراد.

وممّا سبق نعرف أنّ حسن الظنّ هو الأصل والمعيار في العلاقات الاجتماعية، وبالرغم من ذلك فإنّ لحسن الظنّ شروط وحدود التي إذا خرج عن حدوده ليس صفة حميدة، وقد جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام ما يرسم هذه الحدود وبشكل عام يعدّ الظلم والعدالة والفساد والصلاح المعيار الأساس في ذلك

١. قال الإمام علي عليه السلام:

«إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله، ثُمّ أساء رجل الظنّ برجل لم تظهر منه حوبة فقد ظَلَم، وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن رجل الظنّ برجل فقد غرّر».[1]

٢. الإمام الكاظم عليه السلام:

«إذا كان الجور أغلب من الحقّ لم يحلّ لأحد إنّ يظنّ بأحد خيراً حتّى يعرف ذلك منه».[2]

٣. الإمام علي الهادي عليه السلام:

«إذا كان زمانٌ العدل فيه أغلب من الجور، فحرام أن يظنّ بأحد سوءاً حتّى يعلم ذلك منه، وإذا كان زمانٌ الجور أغلب فيه من العدل، فليس لأحد أن يظنّ بأحد خيراً مالم يعلم ذلك منه».[3]

ومن مجموع هذه الأحاديث الشريفة نعلم أنّ انتشار الظلم والفساد يعطل حسن

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٧٢، ح١٨.

٢. المصدر: ١٠ / باب ١٦، ح١١.

٣. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٦٢، ح١٧.

الظنّ، وأنّ سيادة الصلاح والعدل في المجتمع يشجع على حسن الظنّ، وليس من حقّ المسلم إنّ يسيء الظنّ بأخيه المسلم في مثل هذه الظروف، وهناك شرط هو أنّ حسن الظنّ لا يصحّ إذا عرف المرء شخصاً ما بالغش والخيانة، ولذا جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«ليس لك أن تأتمن من غشك ولا تتّهم من ائتمنت».[1]

---

١. المصدر: ٧٥ / باب ٦٢، ح١٧.

الخُلاصة

البهتان: هو إلصاق العيوب بإنسان ما هو بريء منها، والبهتان من كبائر الذنوب والمعاصي في الشريعة الإسلامية.

إنّ الأصل في العلاقات الاجتماعية هو حسن الظنّ، وإنّ سوء الظنّ صفة ذميمة.

إنّ حسن الظنّ يزيد في المحبّة بين أفراد المجتمع بعكس سوء الظنّ الذي يوتر العلاقات الاجتماعية.

إنّ المعيار في سوء الظنّ، وحسن الظنّ، هو الوضع الاجتماعي، فإذا كان العدلُ والصلاحُ فيه سائداً فلا يجوز للمسلم أن يسيء الظنّ بالناس والعكس بالعكس.

الأسئلة

١. ما هو البهتان في ضوء مادرست من الآيات و الروايات؟

٢. عدد مستويات البهتان.

٣. ما معنى «أصالة الصحّة»؟

٤. اشرح باختصار الآثار الناجمة عن سوء الظنّ.

٥. هل من الواجب دائماً أن يحسن المرء الظنّ بالآخرين؟

الدرس السابع والعشرون

النميمة والسخرية

النميمة مرض أخلاقي وصفة قبيحة تلحق أضراراً بالعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، ومن جملة الآثار السيئة للنميمة هو التشاؤم وانعدام الثقة بين أفراد المجتمع، كما تؤدّي هذه الصفة الذميمة إلى بروز الحقد والعداء بين الناس.

من هنا تعدّ النميمة في طليعة العوامل التي تؤدّي إلى الفتنة في المجتمع. وتحارب الشريعة الإسلامية هذا المرض الأخلاقي الخطير بشدّة، فنجد آيات القرآن الكريم والروايات الواردة حافلة بذمّ النميمة، ولهذا عدّها علماء الإسلام من الكبائر.

والنميمة هي أنّه عندنا يتحدّث فرد عن شخص غائب بكلام فيه ذمّ وقبح، ثُمّ يقوم أحد الحاضرين بدور النمام فينقل ذلك الكلام إلى ذلك الشخص.

والنمام إنسان مريض لا ينقل الكلام الطيب أبداً، وإنّما ينقل الكلمات التي تؤدّي إلى بروز الحقد والعداء ثُمّ الفتنة.

إنّ إيجاد الفتن والأحقاد والعداوات بين الأصدقاء والأخوة في الدين هو الفتنة التي عدّها القرآن الكريم جريمة كبرى قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾.[1]

---

١. البقرة: ١٩١.

وقال سبحانه: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾.[١]

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾.[٢]

وقد خاطب ربّنا عزّ وجلّ رسوله الأكرم ﷺ قائلاً: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾.[٣]

وتتضمّن الآيات الأخيرة إشارة إلى أنّ النمام منحط أخلاقياً ولا ينبغي احترامه، كما ورد في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ لأصحابه:

«ألا أُنبئكم بشراركم، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: المشاؤون بالنميمة المفرّقون بين الأحبّة الباغون للبرآء المعايب».[٤]

وجاء عنه ﷺ قوله:

«إنّ أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة المفرّقون بين الأحبّة الملتمسون للبرآء العثرات».[٥]

وجاء عنه ﷺ أيضاً:

«إنّ النميمة والحقد في النار، لا يجتمعان في قلب مسلم».[٦]

وعنه ﷺ أيضاً:

«لا يدخل الجنّة نمام».[٧]

وجاء عن سيّدنا علي عليه السلام قوله:

«إيّاك والنميمة، فإنّها تزرع الضغينة وتبعّد عن الله وعن الناس».[٨]

---

١. البقرة: ٢١٧.

٢. الهمزة: ١.

٣. القلم: ١٠ ـ ١١.

٤. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٦٧، ح١٧.

٥. *كنز العمال*: ١٥/٣، ح٥٢١٥.

٦. المصدر: ٢٣/١٦، ح٤٣٧٦٨.

٧. *بحار الأنوار*: ٦٨ / باب ١٥، ح٢١.

٨. *غرر الحكم*: ٢٩٦/٢.

التعامل مع النمّام

من أجل إحباط مساعي النمام الخبيثة في إيجاد الفتنة بين الأخوة والأصدقاء علينا أن نقوم بما يلي:

١. عدم التصديق به، لأنّ النمام فاسق، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.[١]

٢. نهيه عن هذا العمل الذميم والفعل القبيح؛ لأنّ النميمة منكر، وقد أمرنا الله عزّ وجلّ بالنهي عن المنكر قال عزّ وجلّ: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾.[٢]

٣. ينبغي أن نعدّ النمّام عدوّاً؛ لأنّه عدوّ الله.

٤. إنّ النميمة من أخبار السوء والظنّ الذي أمر الله عزّ وجلّ باجتنابه، قال الله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.[٣]

٥. ألاّ تدفعه النميمة إلى التجسس والتفتيش في شخصية من تحدّث عنه بسوء، وقد نهى الله عزّ وجلّ عن ذلك بقوله: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾[٤]

٦. ألاّ يكرر عمل النمام فلا ينقل النميمة إلى الآخرين ولا يرضى لنفسه هذا العمل.

وقد جاء في سيرة أحد العلماء وقد كان في سفر، فلما عاد من سفره جاءه صديق له زائراً، وكان ممّا حدّثه به الصديق أن نقل له قول أحدهم فيه أي نمّ له. قال العالم بحزن: لقد أتيتني بعد هذه المدّة من الفراق بثلاث خيانات:

الأولى: إنّك جعلتني أُسيء الظنّ بذلك الرجل وأوجدت بيننا العداوة.

الثانية: إنّك شغلت بالي بما قلت، وقد كنت فارغ البال مرتاحاً.

---

١. الحجرات:٦.

٢. لقمان:١٧.

٣. *الحجرات*:١٢.

٤. *الحجرات*:١٢.

الثالثة: إنّك سلبتني الثقة بك فأنت عندي الآن متهم بالخيانة.

من هنا فإنّ الواجب الأكيد تكذيب النمّام وعدم الاكتراث بأقواله ونميمته، وقد جاء في الأثر: «من نمّ إليك نمّ عليك».[1]

وهذا الموقف الحازم من النمام يحقّق ثلاثة أُمور:

١. إنّ النمام سيندم على فعله.

٢. إنّه لن يكرر فعله القبيح.

٣. استمرار المحبّة بين الإخوة في الدين والعقيدة.

كان محمّد بن فضيل من أصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وقد شكى إلى الإمام يوماً قائلاً: جعلت فداك، الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أُكره له فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات. فقال الإمام عليه السلام:

«يا محمد كذب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامة فقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم ولا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم مروءته فتكون من الذين قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾».[2]

وجاء في الأثر: إنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام يسعى اليه برجل، أي نمّ إلى الإمام فقال الإمام علي عليه السلام:

«يا هذا، نحن نسأل عمّن قلتَ. فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك. قال: أقلني يا أمير المؤمنين».[3]

السخرية والاستهزاء

الاستهزاء والسخرية بشخص ما بهدف الضحك وإضحاك الآخرين من خلال

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٦٧، ح ١٩.

٢. المصدر: ٧٥ / باب ٦٥، ح ١١.

٣. المصدر: ٧٥ / باب ٦٧، ح ١٩.

وصف تقليد بعض صفاته الأخلاقية أو الجسمية عمل حرام، ويعدّ إهانة لكرامة الإنسان وانتهاك لحرمته وسحق لشخصيته.

إنّ الإنسان المؤمن في الشريعة الإسلامية يتمتّع بالكرامة والاحترام الكامل، ولذا لا يحق لأي كان إهانته وإذلاله وانتهاك كرامته؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.[2]

وقال سيّدنا ونبينا محمّد صلى الله عليه وآله:

«إنّ الله جلّ ثناؤه يقول: وعزّتي وجلالي ما خلقت من خلقي خلقاً أحبّ إلى من عبدي المؤمن».[3]

وجاء عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نظر إلى الكعبة وقال:

«مرحباً بك من بيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك على الله! والله للمؤمن أعظم حرمة منك؛ لأنّ الله حرّم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثة: ماله ودمه وأن يظنّ به ظنّ السوء».[4]

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام قوله:

«إنّ الله عزّ وجلّ أعطى المؤمن ثلاث خصال: العزّ في الدنيا، والدين والفلح في الآخرة، والمهابة في صدور العالمين».[5]

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«المؤمن أعظم حرمة من الكعبة».[6]

---

١. المنافقون:٨

٢. البيّنة:٧.

٣. *بحارالأنوار*: ٧١ / باب٦٣، ح٧٥.

٤. المصدر: ٦٧ / باب ١، ح ٣٩.

٥. المصدر: ٦٨ / باب ١٥، ح٢١.

٦. المصدر: ٧ / باب١٦، ح١٦.

وجاء عنه عليه السلام أيضاً:

«قال الله عزّ وجلّ: ليأذن بحرب منّي من أذلّ عبدي المؤمن، وليأمن من غضبي من أكرم عبدي المؤمن».[١]

ومن خلال مفاد الآيات والروايات حول عزّة الإنسان المؤمن وكرامته ندرك مدى قبح وبشاعة السخرية منه والاستهزاء به، ولذا ورد في القرآن قوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِن قَوْمٍ عَسَى أن يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِن نِسَاء عَسَى أن يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ﴾[٢]

السخرية والاستهزاء سلوك نفاقي وقد نكّل بهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوْا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إلى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾.[٣]

وقد أوعد الله سبحانه المستهزئين بالعذاب قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فى الْصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَيَجِدُونَ إلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾.[٤]

---

١. المصدر: ٧٥ / باب ٥٦، ح ١٢.

٢. الحجرات: ١١.

٣. البقرة: ١٤.

٤. التوبة: ٧٩.

الخُلاصة

إنّ تسقّط العيوب والنميمة وإيجاد الفتنة بين الأُخوة المؤمنين عمل قبيح وذنب كبير ومعصية لله عزّ وجلّ، وقد نهى الله سبحانه عن ذلك، وأنّ الإنسان المؤمن يتمتّع بالعزّة والكرامة والاحترام الكامل.

الأسئلة

١. لماذا حرّم الإسلام النميمة؟

٢. ما هو موقفنا إزاء النمّام؟

٣. اذكر حديث الإمام الكاظم عليه السلام في مروءة المؤمن.

٤. ماهي الآثار الناجمة عن السخرية والاستهزاء؟

الدرس الثامن والعشرون

الحسد

الحسد من الصفات القبيحة ومن كبائر الذنوب، ولهذه الصفة الذميمة دور مخرّب في العلاقات الاجتماعية، والإنسان المصاب بالحسد عاجز عن النمو والتقدّم في طريق الكمال الإنساني.

وقد جاء في القرآن الكريم قصّة حسد إبليس لأبينا آدمعليه السلام فطرده الله من رحمته، فقاده الحسد إلى الحقد على آدم وزوجه فأغواهما فأهبطهما الله من الجنّة ليكدحا في الأرض.

وحسد قابيل أخاه هابيل، ووسوس له الشيطان قتل أخيه فقتله؛ فكان الحسد وراء الأحقاد والعدوان في تاريخ الإنسان.

تعريف الحسد

الحسد: هو تمني زوال نعمة الغير، وقدتكون هذه النعمة مادية أو معنوية، وعادة مايسعى الحسود في تحقيق هدفه ذلك والحسد على أربعة مستويات:

الأوّل: يتمنّى المصاب بالحسد زوال نعمة شخص ما دون أن يتمنّى لنفسه تلك النعمة.

الثاني: يتمنّى المصاب زوال نعمة الشخص المحسود وانتقالها إليه.

الثالث: يتمنّى المصاب نظير نعمة الشخص المحسود، وعندما لا تتحقّق أُمنيته فإنّه يتمنّى زوالها من ذلك الشخص.

الرابع: يتمنّى المرء في هذا المستوى أن يُرزق نعمة نظير ما أنعم الله على غيره.

والمستوى الرابع لا يعدّ من الحسد ولا يعدّ فعله قبيحاً، ويدعى في هذه الحالة بـ «الغبطة».

والغبطة على عكس الحسد أمر محمود ويدفع بالإنسان إلى التكامل والنمو في طريق الخير.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط».[1]

الحسد في ضوء القرآن الكريم

وضع القرآن الكريم شرور الحسود إلى جانب وساوس الشيطان المدمّرة قال سبحانه وتعالى مخاطباً رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.[2]

كما نهى الله تبارك وتعالى عن تمنّي نعمة الغير قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.[3]

وخاطب الله عزّ وجلّ نبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ﴾.[4]

ونجد في آية كريمة أُخرى إشارة إلى مساعي أهل الكتاب في إبعاد المسلمين

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٣ / باب ١٣١، ح٧.

٢. الفلق: ١ ـ ٥.

٣. النساء: ٣٢.

٤. طه: ١٣١، الحجر: ٨٨.

عن دينهم. بسبب مشاعر الحسد تجاه المسلمين في إيمانهم و حياتهم وآدابهم الطيبة، قال عزّ وجلّ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[1]

الحسد والحاسد في الروايات الاسلامية

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: قال الله عزّ وجلّ لموسى بن عمران:

«يا بن عمران، لا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدّن عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفْسَكَ، فإنّ الحاسد ساخط لنعمتي صادّ لقسَمي الذي قسمت بين عبادي».[2]

وقال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله لأصحابه:

«ألّا تعادوا نعم الله» فقيل: يا رسول الله ومن يعادي نعم الله؟! قال صلى الله عليه وآله: «الذين يحسدون».[3]

وورد عن سيدنا علي عليه السلام قوله:

«الحسد مرض لايؤسى».[4]

أي أنّ الحسد مرض لا مسكّن له، وعنه عليه السلام قال:

«الحسد حبس الروح».[5]

فالروح الإنسانية لا تعرف الانطلاق في حالة إصابة الإنسان بمرض الحسد. وقال عليه السلام:

«رأس الرذائل الحسد».[6]

---

١. البقرة: ١٠٩.

٢. *بحارالأنوار*: ٧٣ / باب ١٣١، ح٦.

٣. المصدر: ٧٣ / باب ١٣١، ح٢.

٤. *المستدرك*: ١٢ / باب ٥٥، ح ١٣٤٠.

٥. *غررالحكم*: ١٠٠/١.

٦. المصدر: ٥٠/٤.

و«الحسد شرّ الأمراض».[١]

وللإمام علي عليه السلام طائفة من الحكم القصيرة الجمل العميقة الغور:

ـ «الحسد مطيّة التعب».[٢]

ـ «ثُمّرة الحسد شقاء الدنيا والآخرة».[٣]

ـ «من ترك الحسد كانت له المحبّة عند الناس».[٤]

ـ «الحسود كثير الحسرات متضاعف السيئات».[٥]

ـ «الحسود لا يسود».[٦]

ـ «الحاسد لا يشفيه إلاّ زوال النعمة».[٧]

ـ «الحاسد يفرح بالشرّ ويغتمّ بالسرور».[٨]

ـ «الحاسد يرى أنّ زوالَ النعمة عمّن يحسده نعمة عليه».[٩]

ـ «الحاسد يظهر ودّه في أقواله ويخفي بغضه في أفعاله فله اسم الصديق وصفة العدو».[١٠]

ـ «بئس الرفيق الحسود».[١١]

ـ «لا تحاسدوا فإنّ الحسد يأكل الإيمان، كما تأكل النار الحطب».[١٢]

---

١. المصدر: ٩١/١.

٢. *بحارالأنوار*: ٧٨ / باب ١٥، ح ٧١.

٣. *المستدرك*: ١٢ / باب ٥٥، ح ١٣٤٠١.

٤. *بحارالأنوار*: ٧٧ / باب ٩، ح ١.

٥. *المستدرك*: ١٢ / باب ٥٥، ح ١٣٤٠١.

٦. *بحارالأنوار*: ٧٣ / باب ١٣١، ح ٤.

٧. *المستدرك*: ١٢ / باب ٥٥، ح ١٣٤٠١.

٨. المصدر: ١٢ / باب ٥٥، ح ١٣٤٠١.

٩. المصدر: ١٢ / باب ٥٥، ح ١٣٤٠١.

١٠. *غررالحكم*: ١٣٩/٢.

١١. المصدر: ٢٥٣/٣.

١٢. *ميزان الحكم والمواعظ*: ٥٢٦.

ـ «الحسد يميث الايمان في القلب، كما يميث الماء الثلج»[١]

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام ما يلي:

ـ «ليست للبخيل راحة ولا للحسود لذّة».[٢]

ـ «الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم عليه السلام الاجتباء».[٣]

ـ «أُصول الكفر ثلاثة: الحرص، والاستكبار، والحسد».[٤]

ـ «الحسد أصله من عمى القلب والجحود لفضل الله تعالى، وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً».[٥]

ـ «آفة الدين الحسد والعجب والفخر».[٦]

وجاء عن نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله قوله:

«ألا إنّه قد دبّ إليكم داء الأمم من قبلكم وهو الحسد، ليس بحالق الشعر، لكنّه حالق الدين».[٧]

وجاء عن سيّدنا علي عليه السلام أحاديث حول الأضرار التي يلحقها الحسد بجسم الإنسان:

ـ «الحسود عليل أبداً».[٨]

ـ «الحسد يذيب الجسد».[٩]

---

١. *المستدرك*: ١٨/١٢.

٢. *بحارالأنوار*: ٧٧ / باب ١٠، ح١٣.

٣. المصدر: ٧٣ / باب ١٣١، ح٢٣.

٤. المصدر: ٧٢ / باب ٩٩، ح١.

٥. المصدر: ٧٣ / باب ١٣١.

٦. المصدر: ٧٣ / باب ١٣١، ح٥.

٧. المصدر: ٧٣ / باب ١٣١، ح٢٣.

٨. *المستدرك*: ١٢ / باب ٥٥، ح ١٣٤٠١.

٩. *غررالحكم*: ٢٤١/١.

ـ «العجب لغفلة الحسّاد عن سلامة الأجساد».[1]

ـ «صحّة الجسد من قلّة الحسد».[2]

بواعث الحسد

عرفنا ماهية الحسد وآثاره السيئة في الحياة الفردية والاجتماعية، ولكي نعالج هذا المرض الخطير يتوجب علينا معرفة أسبابه وبواعثه؛ لأنّ معرفة الداء تمهد لمعرفة الدواء، وقد حدد علم الأخلاق سبعة أسباب للحسد، هي:

١. الخبث: كثير من الأفراد يعانون من خبث في النفس هو وراء حسدهم للآخرين، فهم أساساً يفرحون بمصائب الناس ويحزنون لفرحهم، بغض النظر عن وجود علاقة معهم ودّية كانت أو عدائية، فهم يودّون عدم الموفقية للجميع.

٢. العداوة: الحقد والعداء بين الحاسد والمحسود سبب من أسباب الحسد، ولذا فإنّ الحسود إذا رأى وقوع عدوّه في مأزق أو مشكلة، فإنّه يفرح ويتمنّى له المزيد من المصائب، فإذا حدث العكس أو رأى على عدوّه آثار الموفقية والنجاح، فإنّه يغتم ويحزن وتملأ نفسه الحسرات.

٣. حبّ الجاه والثراء: إنّ الكثير من الحسّاد من يستهويهم الجاه والثراء فهم يحبّون ذلك لأنفسهم فقط فإذا رأوا من ينافسهم في ذلك حسدوه، فمثلاً الممثل الناجح أو التاجر الموفق والأكثر ثراء في المجتمع إذا ما رأى فرداً أو أفراداً يتقدّمون في عملهم ويتألقون في مجتمعهم انبعثت في نفسه مشاعر الحسد لهم وتمنّى لهم الفشل والإخفاق.

٤. التنافس: وهذا ما نشاهده في المسابقات عندما يكون التنافس على احتلال المركز الأوّل، وعندما يحصل أحدهم على هذا المركز تنبعث في نفوس منافسيه مشاعر الحسد.

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٣ / باب ١٣١، ح٢٨.

٢. المصدر: ٧٣ / باب ١٤١، ح٢٨.

٥. التكبّر: التكبّر والنرجسية وتضخم الذات أسباب للحسد، والمصاب بهذه الأمراض الروحية لا يتحمّل رؤية نجاح غيره وتقدمه؛ لأنّ المتكبّر يودّ رؤية غيره أدنى منه في المنزلة لكي يتبختر عليه، وينتظر من الآخر أن يخنع ويكون له ذيلاً، فإن رآه موفقاً ناجحاً حسده وتمنّى له الفشل والإخفاق والانكسار.

٦. حبّ الذات: وحبّ الذات يختلف عن التكبّر، لأنّ الشخص في هذه الحالة يخشى المهانة فهو يتصوّر أن تقدّم غيره سيعرضه للامتهان.

أمّا المتكبّر فهو يطلب التفوق ولايرضاه لغيره في حين أنّ هؤلاء لا يطلبون التفوق ولا يرتضوه لغيره أيضاً فيحسدونهم ويتمنون لهم الفشل.

٧. التعجّب: ومن بواعث الحسد لدى بعض الحساد أنّهم إذا رأوا شخصاً رزق نعمة وفضلاً ومنزلة حسدوه؛ لأنّهم يتعجبون من ذلك ويعدّونه أحقر من أن يكون له ذلك ويودّون زوال نعمته.

الخُلاصة

الحسد صفة ذميمة وهي أن يتمنّى المرء زوال نعمة الغير.

ربّما يسعى الحسود من أجل زوال نعمة المحسود وهذه الدرجة من الحسد لها آثار مخرّبة على شخص الحسود، وقد تلحق أضراراً بالمحسود.

الأسئلة

١. عرّف الحسد.

٢. عدّد مستويات الحسد.

٣. ماذا تعني الغبطة؟

٤. لماذا يعدّ الحسد عملاً نفاقياً؟

٥. ما هو أثر الحسد على الإيمان؟

٦. اشرح باختصار بواعث الحسد.

الدرس التاسع والعشرون

الكذب

الكذب من أسوأ وأكبر الذنوب، وهو من الصفات الأخلاقية الأكثر انحطاطاً والأبشع تخريباً في العلاقات الاجتماعية. إنّ العلاقات الإنسانية الحقّة تنهض على الصدق وفي غياب الصدق يخسر الفرد اعتباره في المجتمع، فإذا شاعت هذه الصفة الأخلاقية المنحطة، تمزق النسيج الاجتماعي، وتصبح الحياة الاجتماعية جحيماً لا يطاق.

وظاهرة الكذب من المواضيع التي اهتمّ بها القرآن الكريم واستنكرها وتظافرت الروايات على إدانتها وحذرت من عواقب الكذب وآثاره المدمّرة في الحياة الإنسانية.

ولأنّ الكذب لا يكلّف صاحبه في الظاهر شيئاً فقد تورّط كثير من الناس ومع الأسف في هذه الظاهرة الأخلاقية الهابطة، فنرى البعض ومن أجل تحقيق مآربه يتوسّل بالكذب.

ومن الخطأ أن يزن الناس عملاً ما، معصية كان أم غير معصية بميزان الجهد من ناحية، وبما يعود عليهم من النفع واللذة من ناحية أُخرى. ومن هنا يتصوّر البعض أنّ الكذب لا يكلّف المرء شيئاً وقد يعود عليهم بالمنافع.

ولهذا فإنّ الكذب مسألة أخلاقية حسّاسة، وهو من الأمراض الاجتماعية الأكثر خطراً في حياة الفرد والمجتمع.

تعريف الكذب

الكذب: هو إظهار غير الحقّ، وله شرطان: أحدهما: جريان الكلام على اللسان أو عمل الجوارح بما يخالف الحقيقة، والثاني: علم المتكلّم بذلك. فلو أنّ أحدهم قال شيئاً يخالف الحقيقة وهو يجهل هذا الخلاف، ويظنّ ما قاله صدقاً لم يعدّ كاذباً.

وهناك نقطة بالغة الأهميّة وهي أنّ الكذب قديكون قولاً وقديكون فعلاً، كما لو أنّ إنساناً يتظاهر بسلوك معين ليوحي للناس أنّه وقور وهو ليس بذلك، فهذاأيضاً من الكذب؛ لأنّ الكذب هو اظهار خلاف الحقّ والواقع.

الكذب في ضوء القرآن الكريم

ندّدت كثير من الآيات القرآنية بالكذب والكذّابين، وفيما يلي طائفة منها، قال الله تعالى:

١. ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.[١]

٢. ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.[٢]

٣. ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.[٣]

٤. ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾.[٤]

٥. ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ على الكَاذِبِينَ﴾.[٥]

٦. ﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللهِ عَلَيْهِ إن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.[٦]

---

١. الحج: ٣٠.

٢. النحل: ١٠٥.

٣. الزمر: ٣.

٤. غافر: ٢٨.

٥. آل عمران: ٦١.

٦. النور: ٧.

ومن خلال هذه الآيات الكريمة نعرف أنّ الله سبحانه جعل الكذب ردفاً لعبادة الأوثان، وأنّ الكذب يدلّ على انعدام الإيمان في قلب الإنسان، وأنّ احتمالات الهداية تتضاءل في حالة الكذب، وأنّ لعنة الله تحلّ بالكذابين، ومن هنا نعرف مدى قبح الكذب وابتعاد الكذّاب عن طريق الكمال.

الكذب في ضوء الأحاديث الإسلامية

تحفل الأحاديث والروايات الإسلامية ببيان مخاطر الكذب وآثاره المخرّبة في حياة الإنسان، وفيما يلي طائفة من هذه الأحاديث:

١. قال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«إيّاكم والكذب، فإنّ الكذب مجانب للإيمان».[١]

٢. قال الإمام علي عليه السلام:

«جانبوا الكذب فإنّه مجانب للإيمان، وإنّ الصادق على شَرَفِ منجاة وكرامة، والكاذب على شفا مهواة وهلكة».[٢]

٣. قال الإمام الباقر عليه السلام:

«إنّ الكذب هو خراب الإيمان».[٣]

فالكذب يتناسب عكسياً مع الإيمان، والمؤمن عادة لا يكذب وإذا فعل ذلك مرّة، فإنه يشعر بالندم العميق، أمّا الذي اعتاد الكذب فليس بمؤمن البتة.

وجاء عن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وهو الحسن بن محبوب، قال:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم... قلت: فيكون كذاباً؟

---

١. *كنز العمال*: ٣/ ٦٢٠، ح٨٢٠٦.

٢. *بحار الأنوار*: ٧٧ / باب ١٤، ح٢.

٣. *الكافي*: ٣٣٩/٣، ح ٤.

قال: لا ولا خائناً، ثُمّ قال: يجبل المؤمن على كلّ طبيعة إلاّ الخيانة والكذب».[١]

وتؤكّد الأحاديث والروايات الإسلامية أنّ الكذب هو بداية السقوط والانحراف، وفيما يلي حديثان يشيران إلى هذا المعنى:

١. قال نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«إنّ الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار».[٢]

٢. قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«جعلت الخبائث كلّها في بيت وجعل مفتاحها الكذب».[٣]

وهناك قسم من الأحاديث الشريفة يعدّ الكذب أسوأ الخصال الأخلاقية:

١. قال الإمام علي عليه السلام:

«تحفظوا من الكذب، فإنّه من أدنى الأخلاق قدراً، وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءة».[٤]

قال علي عليه السلام:

«شر الأخلاق الكذب و النفاق».[٥]

قال علي عليه السلام: «لا شيمة أقبح من الكذب».[٦]

قال علي عليه السلام: «الصدق أمانة والكذب خيانة».[٧]

قال علي عليه السلام: «شرّ القول الكذب».[٨]

---

١. *بحار الأنوار*: ٧٥ / باب ٥٨، ح ١١.

٢. المصدر: ٧٢ / باب ١١٤، ح ٣٤.

٣. المصدر: ٧٢ / باب ١١٤، ح ٤٨.

٤. المصدر: ٧٨ / باب ١٦، ح ١٥٧.

٥. *غرر الحكم*: ١٦٦/٤.

٦. المصدر: ٣٨٠/٦.

٧. *بحار الأنوار*: ٦٩ / باب ٣٨، ح ٣٥.

٨. *ميزان الحكمة*: ٢٦٧٢/٣.

قال علي عليه السلام:

«علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك على الكذب حيث ينفعك».[1]

ويقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«كبرت خيانة أن تحدّث أخاك حديثاً هو لك مصدّق وأنت به كاذب».[2]

ويقول عليه الصلاة والسلام:

«أعظم الخطايا اللسان الكذب».[3]

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إنّ العاقل لايكذّب وإن كان فيه هواه».[4]

ومن خلال هذه الأحاديث نعرف أنّ الكذب خيانة وهو يتنافى مع الإيمان والعقل.

الصدق في ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف

عرفنا رأي الشريعة الإسلامية في الكذب، وعرفنا أيضاً آثاره الضارّة في الحياة الاجتماعية، والآن نتطرّق إلى نقيض الكذب وهو الصدق فما هي منزلة هذه الصفة النبيلة في الشريعة الإلهية؟

دعا الله عزّ وجلّ عباده إلى أن يكونوا مع الصادقين: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[5] وفي آية أُخرى يبشّر الله تبارك وتعالى عباده الصادقين: ﴿قَالَ اللَّهُ هذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ

---

١. المصدر.

٢. *كنز العمال*: ٣/ ٦٢٠، ح ٨٢١٠.

٣. *بحار الأنوار*: ٢١ / باب ٢٩، ٢١٠.

٤. *الكافي*: ١/ ١٧.

٥. التوبة: ١١٩.

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[١]

ويقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«أقربكم منّي غداً في الموقف أصدقكم للحديث».[٢]

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«الصدقُ عزّة»ويقول أيضاً:«الصدق أخو العدل».[٣]

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:

«إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبياً إلاّ بصدق الحديث وأداء الأمانة».[٤]

الكذب الجائز

بالرغم من قبح الكذب واعتباره عملاً ذميماً إلاّ أنّ الشريعة ترخصه في ظروف خاصّة، حيث تملي المصلحة والضرورة الكبرى، فما هي الموارد التي يجوز فيها الكذب؟ توجد ثلاثة موارد، هي:

١. الضرورة: عندما تتوقّف حياة الإنسان على ذلك، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[٥] وقد نزلت هذه الاية الكريمة عندما تعرّض الصحابي الجليل عمّار بن ياسر للتعذيب واضطر إلى أن يقول كلمة الكفر بلسانه فالاضطرار يجيز الأشياء المحرّمة، وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «وليس شيء ممّا حرم الله إلاّ وقد أحلّه الله لمن اضطر اليه»[٦] ولهذا يقول الفقهاء: الضرورات

---

١. المائدة:١١٩.

٢. *بحارالأنوار*: ١٥٢/٧٤، ب٧.

٣. *غررالحكم*: ٢١٧.

٤. *الكافي*: ١٠٤/٢.

٥. النحل:١٠٦.

٦. *الفصول المهمّة في أصول الأئمة*: ٤٠٨

تبيح المحظورات، عندما يتعرّض الإنسان لأضرار لا يمكنه تحمّلها سواء في نفسه أو ماله أو سمعته، فإنّه يجوز له أن يدفع الضرر بالكذب.

٢. الإصلاح: إنّ الإصلاح بين الناس ورفع العداوات إذا توقّف على الكذب جاز ذلك، بل إذا أدّى الصدق إلى اشتداد العداوة أصبح حراماً، فالإصلاح يجعل من حرمة الكذب حلالاً ومن قول الصدق حراماً، يقول نبيّنا محمّدﷺ مخاطباً الإمام عليعليه السلام: «يا علي، إنّ الله يحبّ الكذب في الإصلاح ويبغض الصدق في الفساد».[1]

٣. الخدعة الحربية: إنّ محاولات خداع العدو في المعارك والحروب والاشتباكات العسكرية أمر أجازته الشريعة الإسلامية، فمن الممكن القيام بأي من محاولات الاستعراض والإيحاء إليه بغير النوايا الحقيقية والخطط الحربية، يقول نبيّنا محمّدﷺ مخاطباً الإمام عليعليه السلامفي هذا المضمار: «المكيدة في الحرب».[2]

الكذب في المزاح

عادة مايخالط المزاح قدر من الكذب، وعندما يمزح المرء على صديقه مثلاً ويضمن مزاحه كذباً يبرر ذلك قائلاً: إنّني أمزح! ينبغي أنّ تدرك أنّ المزاح أو الجد لايغير من مسألة الكذب ولا يكسب المزاح الكذب الشرعية؛ يقول نبيّنا محمّدﷺ:

«إنّ الكذب لايصلح منه جدّ ولاهزل».[3]

و يقولﷺ أيضاً:

«ويل للذي يحدّث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له».[4]

---

١. *بحارالأنوار*: ٣٥٦/٧٨، ب١٠.

٢. المصدر: ٨/٦٨ ب٦٠.

٣. المصدر: ٢٥٩/٦٩، ب١١٤.

٤. المصدر: ٢٣٥/٦٩، ب١١٤.

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام قال: سمعت أبي يقول:

«اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كلّ جدّ و هزل».[١]

التورية

التورية حديث يفهم منه معنيان؛ معنى يقصده المتحدّث ومعنى آخر يفهمه السامع، والتورية في حقيقتها ليست كذباً، ولكن فهم السامع يجعل منها قريبة من الكذب، ويجنح الإنسان إلى استخدام التورية عندما لا يريد أن يقول الصدق ولا يريد أيضاً أن يكذب، ومثالاً على هذا شخص يبحث عن شخص آخر، ثُمّ يسأل شخصاً ثالثاً عنه، الشخص الثالث لا يريد أن يقول الصدق ولا يريد الكذب، فيقول له مثلاً: رأيته في المسجد، فيفهم السامع أنّه رآه قبل وقت قصير في حين أنّ القائل يعني أنّه رآه قبل أُسبوع!

لهذا يفهم السامع غير ذلك وينطلق إلى المسجد لعلّه يعثر عليه.

---

١. *بحارالأنوار*: ٢٣٥/٦٩، ب ١١٤.

الخُلاصة

الكذب من الكبائر، وهو كثير الشيوع لسهولة ارتكابه من قبل كثير من الناس. وللكذب دور مخرب في العلاقات الاجتماعية؛ لأنّه يقضي على جوّ الثقة، ولهذا عدّه الإسلام من أقبح الصفات الأخلاقية في الحياة الإنسانية.

الأسئلة

١. عرّف الكذب.

٢. أيّ الخصوصيات الأكثر حساسية في الكذب؟

٣. ما هو موقف الشريعة من الكذّابين؟

٤. كيف تصف الأحاديث الكذب؟

٥. ما هي الموارد التي يجوز فيها الكذب؟

٦. هل يجوز الكذب في المزاح؟ استشهد بالحديث النبوي.

٧. ما معنى التورية؟ اضرب مثالاً على ذلك.

الخاتمه

على امتداد تسعة وعشرين درساً تعلمنا أنّ الإسلام يهدف إلى إسعاد البشر من خلال بلوغ الإنسان مرحلة الكمال، ولكي يتحقّق هذا الهدف حدد لهم آداباً وسلوكاً تنظم علاقاتهم الاجتماعية.

ونحن نعلم أنّ الإنسان باستثناء المعصومين من البشر يعاني من نقص نسبي وهو بحاجة إلى غيره في طريق التكامل الإنساني، والانسان لوحده لا يستطيع أن يوفّر لنفسه جميع الظروف والشروط اللازمة في حياته المادية والمعنوية، بما يحقّق له هدف الكمال، فهو بحاجة إلى مشورة وإرشاد وإلى عون مادي وعلمي. وحاجات الإنسان متعددة منها حاجات مادية وحاجات أُخرى عاطفية، ولا يمكن للإنسان بمفرده أن يوفّر ما يلبي حاجاته هذه.

ونحن المسلمين أمّة من الأمم ولنا أعداء يعملون على منعنا من طريق التقدّم والنمو والكمال، لهذا يتوجّب على المسلمين جميعاً التضامن فيما بينهم والاتّحاد والوقوف في جبهة واحدة ضد الأعداء.

يقول نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«المسلمون يدٌ واحدة على من سواهم»[1]

---

١. *بحار الأنوار*: ٥٨/ ١٥٠.

ومن البديهي أنّ الأيدي الكثيرة إذا أصبحت يداً واحدة تضاعفت قوتها، أمّا إذا تفرقت فتهبط قدرتها وتتراجع.

ولهذا نهى الله عزّ وجلّ المسلمين عن الفرقة والتنازع، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.[1]

ومن هنا يعمل الطغاة على إلقاء الفرقة والتمزق بين أبناء الشعب الواحد لكي تسهل سيطرته على الناس، قال عزّ وجلّ عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾.[2]

وعندما يصبح المجتمع الواحد طوائف متعددة متنازعة، فإنّه يصاب بالضعف وتتراجع إرادته ويسهل استعباده.

من أجل ذلك حذر القرآن من التفرقة ووصفها بأنها من عمل الشيطان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾.[3]

أمّا الوحدة والاتّحاد والتضامن فإنّهما تؤدي إلى القوّة، يقول الإمام علي عليه السلام:

«إنّه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد إلاّ اشتدّ أمرهم واستحكمت عقدتهم».[4]

ومن هنا نرى الإمام يدعو إلى التأمّل في تاريخ الأمم الغابرة والاعتبار من تجاربها يقول عليه السلام في خطبته المعروفة بـ «القاصعة»:

«وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلاتِ[5] بِسُوءِ الأَفْعَالِ وَذَمِيمِ الأَعْمَالِ.

---

١. الأنفال: ٤٦.

٢. القصص: ٤.

٣. المائدة: ٩١.

٤. *بحار الأنوار*: ٤٠٣/٣٢.

٥. العقوبات.

فَتَذَكَّرُوا في الْخَيْر وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَاحْذَرُوا أن تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ. فَإذَا تَفكَّرْتُمْ في تَفَاوُت حَالَيْهِمْ[1] فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْر لَزمَت الْعزَّةُ به شَأْنَهُم[2]، وَزَاحَت الأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، وَمُدَّت الْعَافيَةُ به عَلَيْهمْ، وَانْقَادَت النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَت الْكَرَامَةُ عَلَيْه حَبْلَهُمْ منَ الاجْتنَاب للْفُرْقَة[3]، وَاللُّزُوم للأُلْفَة، وَالتَّحَاضّ عَلَيْهَا وَالتَّوَاصي بهَا، وَاجْتَنبُوا كُلَّ أَمْر كَسَرَ فقْرَتَهُمْ[4]، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ. منْ تَضَاغُن الْقُلُوب، وَتَشَاحُن الصُّدُور، وَتَدَابُر النُّفُوس، وَتَخَاذُل الأَيْدي، وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضينَ منَ الْمُؤْمنينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا في حَال التَّمْحيص وَالْبَلاء.[5] أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلائق أَعْبَاءً وَأَجْهَدَ الْعبَاد بَلاءً، وَأَضْيَقَ أَهْل الدُّنْيَا حَالاً، اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعنَةُ عَبيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَاب، وَجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ[6] فَلَمْ تَبْرَح الْحَالُ بهمْ في ذُلّ الْهَلَكَة وَقَهْر الْغَلَبَة. لا يَجدُونَ حيلَةً في امْتنَاع، وَلا سَبيلاً إلَى دفَاع. حَتَّى إذَا رَأَى اللهُ سُبْحَانَهُ جدَّ الصَّبْر منْهُمْ عَلَى الأَذَى في مَحَبَّته، وَالاحْتمَالَ للْمَكْرُوه منْ خَوْفه جَعَلَ لَهُمْ منْ مَضَايق الْبَلاء فَرَجاً، فَأَبْدَلَهُمُ الْعزَّ مَكَانَ الذُّلّ، وَالأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْف فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً، وَأَئمَّةً أَعْلاماً، وبَلَغَت الْكَرَامَةُ منَ الله لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلُغ الآمَالُ إلَيْه بهمْ.

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَت الأَمْلاءُ مُجْتَمعَةً[7]، وَالأَهْوَاءُ مُؤْتَلفَةً، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدلَةً، وَالأَيْدي مُتَرَادفَةً، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصرَةً، وَالْبَصَائرُ نَافذَةً، وَالْعَزَائمُ وَاحدَةً. أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً في أَقْطَار الأَرَضينَ[8]، وَمُلُوكاً عَلَى رقَاب الْعَالَمينَ. فَانْظُرُوا إلَى مَا صَارُوا إلَيْه في آخر أُمُورهمْ حينَ وَقَعَت الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتَت الأُلْفَةُ وَاخْتَلَفَت الْكَلمَةُ

---

١. من سعادة وشقاء.

٢. لزمت العزّة به شأنهم، أي كان سبباً في عزّتهم وما يتبعها من الأحوال الآتية. ومدت أي انبسطت.

٣. من الاجتناب بيان لأسباب العزة وبعدالأعداءوانبساط العافية وانقياد النعمة والصلة بحبل الكرامة.

٤. الفقرة ـ بالكسر والفتح ـ كالفقارة بالفتح ـ: ما انتظم من عظم الصلب من الكاهل إلى عجب الذنب. وأوهن أي أضعف. والمنة ـ بضم الميم ـ: القوة.

٥. التمحيص: الابتلاء والاختبار.

٦. المرار ـ بضم ففتح ـ: شجر شديد المرارة تتقلص منه شفاه الإبل إذا أكلته، أي جرعوهم عصارته.

٧. الأملاء ـ جمع ملأ ـ: بمعنى الجماعة والقوم. والأيدي المترادفة المتعاونة.

٨. أرباباً: سادات.

وَ الأَفْئدَةُ، وتَشَعَّبوا مُخْتَلفِينَ، وتَفَرَّقُوا مُتَحَازِبِينَ قَدْ خَلَعَ اللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِه، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِه[١] وَ بَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ»[٢]

ومن خلال التأمّل في هذا البيان الرائع ندرك بوضوح أنّ الوحدة والتضامن والاتّحاد سبب في رقي الأمم وسعادتها، وأنّ الفرقة والشتات والتمزق عامل كبير في سقوطها واضمحلالها وزوالها.

وقد بلغت أُمّة الإسلام في زمن النبيﷺ مجدها الأخلاقي بالتزامها بآداب الإسلام، فكان المسلمون يومذاك رحماء بينهم أشدّاء على الكفّار.

وأصبح المجتمع الإسلامي في المدينة المنوّرة على قدر كبير من الرقي الاجتماعي والكمال الإنساني، وكانت الأُمة الإسلامية قدوة للأُمم الأُخرى، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾،[٣] وقال سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.[٤]

ومن خلال الآداب الرفيعة والسلوك القويم والأخلاق النبيلة يكون الأفراد والمجتمعات والشعوب قدوة وأُسوة، وقد جاء في الأثر: «كونوا دعاة الناس بغير ألسنتكم».[٥]

إنّ القول لا يكتسب قيمة ولا يكون له تأثير حتّى يمتزج بالعمل، فإذا أردنا لراية الإسلام أن ترتفع ولرسالة الله أن تنتشر في ربوع العالم، فعلينا أنّ نتحلّى بآداب الإسلام ويكون سلوكنا منطلقاً من روح الإسلام ونبعه الإلهي السامي، فنكون حينئذٍ مثالاً للأُمم وقدوة للشعوب فتهوى الإسلام وتهفوا إليه.

---

١. *غضارة النعمة*: سعتها. وقصص الأخبار: حكايتها وروايتها.

٢. *نهج البلاغة*: الخطبة المعروفة بالقاصعة.

٣. القصص: ٤.

٤. آل‌عمران: ١١٠.

٥. *بحار الأنوار*: ٣٠٩/٧.

إن واجبنا هو امتثال آداب الإسلام لنكون أُمّة عزيزة يهابها الأعداء، وقد أمرنا الله سبحانه بأن نكون يداً واحدة، ونهانا عزّ وجلّ عن الفرقة والتنازع.

من هنا يمكن أن ندرك أنّ الأهداف الأساسية لآداب الشريعة الاسلامية ما يلي:

١. عزّة الأُمة الإسلامية وصيانة كرامتها من خلال إشاعة روح الأُخوة والتضامن بين المسلمين.

٢. السعي إلى دعوة سائر الأمم إلى اعتناق الإسلام من خلال تقديم النموذج والمثال المؤثر.

٣. التعاون والتكافل من أجل تكامل المسلمين ونمو المجتمع الإسلامي وتقدمه وتحقيق سعادته.

وهذا لا يمكن تحقيقه إلاّ من خلال إشاعة روح المحبّة والأُخوة والاحترام الكامل والمتقابل بين أفراد المجتمع الإسلامي.

المصادر

القرآن الكريم

١. ابن أبي الحديد: عزّالدين، عبدالحميد بن هبة الله المدائني(ت ٦٥٦هـ)، ***شرح نهج البلاغه***، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٣٧٨هـ.

٢. ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ***فتح الباري بشرح البخاري***، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٢هـ.

٣. ابن حنبل: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، ***مسند أحمد***، دار أحياء التراث العربي، بيروت.

٤. ابن ماجة: محمدبن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ)، ***سنن ابن ماجه***، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٥. الآمدي: عبدالواحد التميمي. ***غررالحكم و درر الكلم***، مكتب الإعلام الإسلامي، قم.

٦. الأمين: السيدمحسن بن عبدالكريم الحسيني العاملي (ت ١٣٧١هـ)، ***أعيان الشيعة***، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.

٧. ابن الجوزي: إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، ***الترغيب و الترهيب***، تحقيق: أيمن بن صالح، نشر: دار الحديث، بيروت، ١٤١٤هـ.

٨ الري الشهري: الشيخ محمد، ***ميزان الحكمة***، نشر: دارالحديث، قم، ط ٢، ١٤١٦هـ.

٩. السيوطي: جلال الدين، عبدالرحمان بن أبي بكر(ت ٩١١هـ)، ***الدر المنثور في التفسير بالمأثور***، دارالفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٠.شرف الدين: السيد عبدالحسين الموسوي (ت١٣٧٧هـ)، *الفصول المهمة في تأليف الأمة*، قسم الإعلام الخارجي لمؤسسة البعثة، طهران، ط١.

١١.الطبرسي: أبوالفضل، ثقة الإسلام علي الطبرسي (ت القرن٧)، *مشكاة الأنوار في غرر الأخبار*، تحقيق: مهدي هوشمند، الناشر: دارالحديث، قم، ط١، ١٤١٨هـ.

١٢.الطبرسي: رضي الدين، الحسن بن الفضل (ت ٥٤٨هـ)، *مكارم الأخلاق*، نشر: مكتبة الشريف الرضي، ط٢، ١٣٩٢هـ.

١٣.العاملي: الشيخ حسين بن عبد الصمد، *نور الحقيقة و نَوْر الحديقة*، تحقيق: محمدجواد الجلالي، نشر: فكر، طهران، ١٣٨٧ش.

١٤.العاملي: الشيخ محمد بن الحسن بن علي، الشهير بـ (الحر العاملي)(ت ١١٠٤هـ)، *تفصيل وسائل الشيعة إلى أحكام الشريعة*، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام، لإحياء التراث، قم، ١٤٠٩هـ.

١٥.الغزالي: أبوحامد، محمدبن محمد الغزالي(ت ٥٠٥هـ)، *إحياء العلوم*.

١٦.القمي: الشيخ عباس القمي، *مفاتيح الجنان*، نشر: مركز جهاني علوم إسلامي، قم.

١٧.الكاشاني: محمدبن مرتضى، الشهير بالفيض، *المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء*، تصحيح: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرّسين، قم، ط١، ١٣٧٦ش.

١٨.الكليني: أبوجعفر، محمدبن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، *الكافي*، طهران، المكتبة العلمية الإسلامية.

١٩.الكوفي: أبوعلي، محمدبن الأشعث (كان حيّاً ٣١٣هـ)، *الجعفريات*، نشر: مكتبة نينوى الحديثة، طهران،

٢٠.المتقي الهندي: علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ)، *كنزالعمال*، مكتبة التراث السلامي، حلب، سوريا.

٢١.المجلسي: العلامة محمدباقر بن محمد تقي (ت ١١١١ هـ)، *بحارالأنوار*، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٢٢.النوري: الميرزا حسين، *مستدرك الوسائل*، نشر: المكتبة الإسلامية و مؤسسة إسماعيليان، قم.